الجزء الاول

في

اوصاف المصلحين وحقيقة اصلاحهم

صورة لوتير صوّرها يوحنا مُلْيين معاصره

قال لوتير في مذاكراته وجه ٣٥ : عندي ثلثة كلاب شريرة وهي
الكبد (كفران النعمة) . والكبريا . والحسد . فمن عضنه احسنت عضه .
ومزاجي يغتر بالغضب . وعقلي يشحذ غررهُ بالكيد .
وقريحتي تجود عند الغيظ

مقدمة

قصدنا بهذا الجزء الاول انارة القاري الباحث في حقيقة هذه المسالة التي لقد طالما حاول قوم اخداع الناس بها متلاعبين بسلامة ضمير سكان هذه الاقطار الشرقية

ان القاريء اذا فتح النشرة الاسبوعية الابروتستانية المطبوعة ببيروت بقصد ان يعرف ما هو مذهب الاصلاح ومن هم ايمته عثر على تاريخ هذا الاصلاح الموهوم الذي وصفه مؤرخه وصفًا لا اسناد له ولا علم لمصدره ولا لمخرجه ولا ذكر له في التواريخ الصادقة ومن ثم لمزيد احترامنا القاري وحبه الحق لم نات في هذه المسالة الاهم الا بما قد بني على الاسانيد الصحيحة المدروجة في محلها

فعليه من رام الاطلاع على حقيقة ذلك المشهد الهائل الذي ضرب به كرم الرب اي الكنيسة الكاثوليكية في الجيل السادس عشر وقد تلقب ازدهاء بالاصلاح فدونه وان يفتح هذا السفر ويتأمل جيدًا وصفًا بني على حقيقة الامور وصحة الحوادث فتتضح لديه الحقيقة وتجلي المسألة اذ قد بينا له ذلك تبيانًا غنيًا عن الشرح ادركه الخاص والعام ومن تصفح هذه الصفحات جيدًا وتأمل هذا الوصف والتبيان الناشئين عن ذات الحوادث اغنى عن شارح يشرح له ما هو مذهب الاصلاح ومن هم ايمة الاصلاح فكفى القاري ذوقه ورأيه الصائب لينتج من ذلك نتائج عملية هي ترياق سم الضلال وشمس تضمحل بانوارها ظلام الاكاذيب فيحمد العلي على عنايته اذ قد القى في افواه ايمة الاصلاح وفي لسان حال الحوادث المحزنة انذارًا حقًا خلاصيًا. ولا غرو فان لسان حال

الحوادث التي ارتاع ايمة الاصلاح لمشاهدتها فكفروا باصلاحهم شأنها ان توقف خطوات الانسان على جرف الهاوية قبل ان يطارح نفسه في ذلك تيه الاضاليل المودية الى مذهب التطلق والتهمة الكفر على ما هو واضح العيان

لكن ان دُفع هذا السفر الى اهل الطياشة الذين بدلاً من طلبهم الحق والارتشاد يذهبون وراء التمويهات كان حريًا بهم ان يغلقوه لانه من الاسفار الجدية ولم يصنف لمن هم مثلهم ولم نؤلفه لمن احبوا التعامي فلمثل هولاء ان يفتحوا النشرة الاسبوعية و يطلقوا العنان لجواد مخيلتهم في ميادين حكاياها واقفار خرافاتها لكنهم ان حصدوا زرع اتعابهم فلا يلوموا الاَّ انفسهم اذ يصح فيهم قول روح الله القدوس القائل : من يتكي على المكاذب فذاك يراعي الرياح (امثال ١٠ : ٤)

الفصل الاول

في الاصلاح الابروتستاني الموهوم على ما حكم بهِ لوتيروس مبدعه نفسه

اذا ما اعترضت على اقوام انطووا تحت لواء هذا الاصلاح بما ابداه لوتيروس من التعدي وفاه بهِ من المنكرات وعله من الاضاليل وذكرتهم بما جاء بهِ التاريخ الصادق عن هذا المبدع وسوء اقواله المطلقة اجابوا بماخدعوا بهِ اهل النوايا السليمة وقالوا مالنا ومبدع الاصلاح فهب انهُ كان على ما كان وجاءت بهِ التواريخ وقد فاه بماتنفر الان من استماعه فنحن لا نلتفت الى شيء من كل ذلك على اننا لا ننظر للفاعل الى ما فعل. بل وانهم لم يكتفون بهذا الايراد لكنهم يستندون على كتاب الله ايضاً فيقولون لك لِمَ تنظر الى الادوات الحقيرة الضعيفة ولم تلتفت الى ما نشا عنها . الم يستخدم تعالى حمارة فنطقت . والم يستخدم بلعام فبارك شعبه المختار مع ان بلعام كان نبيًا كاذبًا

فهذا ما اجابوك بهِ خداعًا فيوهمون للسامع بان الاصلاح حميد فيصفونهُ بما ليس فيهِ ويشخصونهُ للناس بهيئة شابهت الحق فيذكرون منهُ ما وافق ويضربون صفحًا عما غاير . حتى انك اذا ما صغيت لاقاويلهم توهمت انهُ اصلاح حقًا وان تاريخهُ صادق على ما قصهُ لك ملفقوه فانحنوا المشرق بما سموه تاريخ الاصلاح . لكنك اذا ما اطلعت عليهِ وامعنت النظر بما اودع فيهِ عثرت على امور كثيرة غير التاريخية فان هذه لا ذكر لها فيهِ ولا حقيقة

فبناء عليهِ لما كنا قد وعدنا بان نشهر على ساعد الهمة فنبين فساد هذه الاضاليل اقلة افظعها واقبحها وانجز حرّ ما وعد اخذنا نكشف برقع الرياء عن ذلك المحيا واريناه صاحب ذلك التاريخ قيمة اصلاح شخصه بصورة الحق . وان هو الاّ كذب ومين فلم نقبض منهُ زيوفًا اصلاً اهل يزعم رواج زيوفه بهذه الاقطار وها ان ههنا قد نصب ميزان بيت المقدس

فاننا نتساهل مع الخصم ونجاريه على زعمهِ وهو مجرد الالتفات الى الاصلاح فنريه بان هذا الاصلاح العزيز لديه ليس هو احسن من لوتيروس مبدعه . وان رفض الخصم المبدع لفساده وسفاهته وسلم بالاصلاح لزعمه صحته وملاحته نقول لهُ اعلم ياصاح ان الاشجار التي تاتي باثمارها ولا يخرج من العوسج تين . فان اصلاحًا ابدعه لوتيروس لم يكن احسن من لوتيروس وان كنت على ريب في هذا فدونك وشهادة لوتيروس نفسه باصلاح ابدعهُ . فقد شهد الفاعل بفعلهِ وحكم الصانع على صنعتهِ وافادنا الناسج عن قيمة منسوجه فانهُ اعلم منك بما فعل وادرى بما صنع واخبر بما نسج

فان شهادته هذه لم تؤخذ من تاليفه ذلك المعلوم باحاديث السفرة اي باحاديث تحدث عنها بعد ان اكل وشرب فاصبح ثملاً . بل قد اخذت من بين اقوال لاق بانسان ان يتفوه بها اذا كان بحالة الصحو والانتباه

فقد اراد بلعام ان يلعن شعب الله فباركه . وقصد لوتيروس قذف اللعنات ضد بيعة الحق فكانت لعناته ادلة راهنة وحجة قاطعة بشان هذه البيعة الوطيدة الاركان

اسمع ما قاله وهو صاحي العقل وان لحظة مستفيقاً من سكرته بخمرة الغضب ضد الكنيسة التي مجدها وقد تبددت عن اذهانه غيوم الغيظ والحنق. فوقف امامه شخص الحق وتشخصت ادلته الحقيقية وبراهينه الساطعة على ما كان استقاها من موارد العلوم الالهية الصادقة فاخفاها ظلام الشهوات وسترها حجاب الاميال. لكن لما كانت شمس الحق لا تحشر واشعته لا تحصر بددت من اذهانه غمام دخان الابخرة المتكاثفة وجعلته ان يقر بها رغماً عن عماه وقهراً عن حبه بالتعامي

فقد وقف على تآليفه اهل العلم في انكلترة وامركا والمانيا وتصفحوا صفحاته فانتقدوها وحكموا بكونها لله وغرة قريحته. واكدوا لنا صحتها لا كما فعل انجيليوا بيروت الذين عفواً ياتون بالمقال وعفواً ينكرونه بدون دليل ولا برهان. واذا ما افحمتهم بحجة التاريخ الصادقة زعموا بانهم جاءوا باحسن برهان واكبر دليل اذا ما فتحوا فاههم وقالوا ان هذه تواريخ حرفها اليسوعيون

فما لنا ولسخافة برهانهم فلنلتفت الى ما قاله لوتيروس نفسه لدى تامله وعد الله الحق لكنيسة اسسها على صخرة لا تتزعزع. فقال لها بايات ذكرها متى البشير في اخر بشارته الشريفة حيث قال الرب لتلاميذه لدى مبارحته الارض وصعوده الى السماء فالتفت وكلمهم بكلامه الاخير قائلاً: اني معكم طول الايام والى منتهى الاجيال (متى ٢٨ : ٢٠)

فكلما خطر هذا الوعد الالهي لاذهان لوتيروس قلق واضطرب وخاف وارتعد. ولما لم يستطع مقاومة قوة هذا الكلام. ولا ياتي ضده ببرهان اجبر على الاقرار بالحق وان ينوه بالصدق فكتب الى البرتوس امير بروسيا قائلاً: ان كان الله لا يستطيع ان يغلط فالكنيسة لا تستطيع

ان تغلط

فقد اجبره الحق ان يقر بان الكنيسة لا تستطيع ان تغلط وان شئت ان تعرف ما هي هذه الكنيسة فانها هي الكنيسة الكاثوليكية الكنيسة العظيمة على ما كان يدعوها الوثنيون انفسهم . هي الكنيسة المتحدة بسدة بطرس الصفا في رومية على ما فاه به ذلك الظافر الذي قهر تدمر مدينة النخل (اوزيبوس كتاب ١ فصل ٣٠)

فبقوله الكنيسة قد اعنى الكنيسة الواحدة الكاثوليكية على ما كان قد تعلمه في صغره بتعليم ارضعت لبنه لبنيها . قد اعنى عن هذه الكنيسة عينها فقال : لا احد يستطيع ان يسلب من اخصامنا لقب هذه الكنيسة الذي لما كانوا متسلحين به شجبونا بقوته واهلكونا (هذا ما قاله اوتيروس في تفسيره الاصحاح ٦ من سفر التكوين في النسخة المطبوعة في ويتمبرج)

فاخذ يشرح معناه ويسهب بالقول فاجلى القصد وعين الكنيسة بقوله عن الكاثوليكيين : انه يوجد برهان يعسر دحضه ضدهم ويصعب سلبه منهم ويمتنع علينا ملاشاته او اقله دحضه

لكن ترى ما هو هذا البرهان فانه هو الوعد الالهي الذي وعد به الرب كنيسته فحظيت بكلامه وحق الرسالة الالهية والاسرار الحقيقية . فاوضح لوتيروس افكاره بهذا الشان ايضاحاً لا يستطيع عليه احد سواه فقال : ترى كيف كنا نطلع على هذه الاشياء بدون هذا الوعد . فبناء عليه كان الايمان المسيحي ويسوع المسيح وروح القدس معهم . فالتفت لنفسه وشجب ذاته بذلك الاصلاح الموهوم صنعته فقال : ويحاً لي ترى ما الذي افعله انا الذي قد علمت ضدهم كما يعلم التلميذ ضد معلمه فهذه هي افكار داهمتني فعرفت ضلالي وتاكدت ذنبي . واسفاه فحبذا لو اني لم

اشرع بمثل هذا المشروع ولا علمت كلمة واحدة . على انه من ذا الذي يستطيع ان ينهض ضد هذه الكنيسة التي نقول عنها في قانون الايمان ونؤمن بالكنيسة المقدسة (تآليف لوتيروس طبعها والش ٨ وجه ٤٧٦)

فقد اضطرب لوتيروس وقلق لدى تامله اقوال الله الشريفة بشانها وشان تعاليمها الصادقة . وخاف وارتعد لما ابداه من الاضاليل التي اذا ما غاص في بحرها تعامى واذا ما انقشعت الغيوم بازاء اشعة الحق خاف وارتعد واقر بضلاله والغلط

على انه ليس فقط قد اقر بالكنيسة وبما وعد المسيح بوعوده الصادقة بل وانه قد اقر بصحة التقليد ولعن نفسه لمضادته اياه فقال : انه لا يخطر لذهن انسان كم يستولي عليّ من الغم والارتباك لكوني علمت ضد ما علمه اباء الكنيسة وهم من الرجال المشاهير والعقول الذكية والعلماء الماهرين نخبة العالم . ومنهم كثيرون قديسون كرام نظير القديس امبروسيوس والقديس اغستينوس والقديس ايرونيموس . فانهم قد امنوا وعلموا بكذا وبكذا . وناهيك عن اقوام ينادون صارخين الكنيسة الكنيسة . ومما يزيدني غمًا وكدرًا هو انه يعسر على الانسان ان يغلب ضميره بهذه الامور ويذهب مبتعدًا من اناس حازوا اعظم الاعتبار وكان الاعتماد على كلامهم فيبتعد الانسان من الكنيسة ذاتها ولا يسلم لتعليمها (تآليف لوتيروس طبعها والش ٢٢ وجه ٩٤٨)

ارايت يا صاح كيف قد حكم صاحب الاصلاح نفسه على ذات اصلاح موهوم ابدعه . فجاء الانجيلي في بيروت واخذ يلفق تاريخًا حسب ميله وهواه ولا صحة لما اورده ولا حقيقة لما ادعاه بل قد اثخن الاوراق اكاذيب وتلفيقًا تابيدًا لاصلاح شجبه اربابه ورذله مبدعوه انفسهم

مصدقين على تعليم الكنيسة الذي مع كل سناهتهم وشدة وقاحتهم لم يستطيعوا مقاومته بل اقروا به رغم انفهم

فها اننا قد اوقفناك على حقيقة اقوال المبدع نفسه المودوعة بتاليفه انها وقد شهد بصحتها اهل الانتقاد اجمع . فرايت كيف قد رذل عمله وشجب فعله وشهد بصحة تعليم الكنيسة وانه لايستطيع مقاومة الكاثوليكي ولادحض تعاليم استند عليها اذ كان الوعد من الله للكنيسة الكاثوليكية وحدها . فقد ناداك لوتيروس نفسه من قبره باقوال سطرها بيده واودعها تاليفه فاسمع لان الله قد اعطانا الاذان لنسمع كلام الحق ونسدها عن استماع الباطل . قال الحكيم : ان اذن تسمع وعين تبصر كلتاهما صنعها الرب (امثال ٢٠ : ١٦)

الفصل الثاني

في مفاعيل الاصلاح ونتائجه على ما وصف لنا لوتيروس في تآليفه

قال احد مشاهير كتبة العصر: ان التاريخ كان امينًا نحو اوامر الله تعالى فكتب على خراب صور وبابل خراب الماضي وخراب المستقبل

فان لوتيروس صاحب هذا الاصلاح الموهوم قبل ان يختفي في ظلام القبر التفت فرأى نفسه محفوفًا بجيوش الخراب الناشئ عن روح العصيان الذي بثه في المانيا ولدى تامله خراب كنائس فصلها عن الوحدة الكاثوليكية كتب هو ايضًا في دوره على هذا الخراب خراب الماضي وخراب المستقبل

فقد امضى هو نفسه على اقرار اقر به في نفس تآليفه عن عجزه وعن عقيم مساعيه وفروغ جهده ورذل ما كان قد ابداه ولدى تامله المستقبل وقد عاين ما كان عتيدًا ان يتاتى عن ذلك الاصلاح اهتال وارتعد واخذ يصف لنا اثمار اعماله في تآليفه المطبوعة في فيتمبرج

فقد خاف وارتعد وقلق ضميره في اخر حياته واضطرب فتحقق حينئذٍ عظم خراب قد نشا وعتيد ان ينشاء عن تعاليمه وهو اذ ذاك مزمع الوقوف لدى الديان الرهيب ليعطي حسابًا عن جميع اعماله، فاعترف بضلاله ونادى مصرحًا باضرار نتجت وتنتج عن اصلاحه وانه لصادق بحكمه واعلم بفعله من الجميع حتى ومن صاحب النشرة الاسبوعية نفسه. على ان لوتيروس قد ابتدع الاصلاح واخبرنا فعهد اصلاحًا

فكان خرابًا وما زال هذا الخراب يزداد فلم يأتِ يوم الا قد انضم خراب جرى فيه على مجموع خراب هذا الاصلاح الموهوم

قال وقد التفت الى كنائس خربها ومعابد ابطلها ومذبح دنسها: ان الناس ينفرون بغضًا لدى مشاهدتهم بانه منذ آن قريب كان الاهل في راحة وسكون وقد ملك السلام في كل مكان فيما ان الان قد امتلأت الاقطار بدعًا واحزابًا وانه لرجس يزق الاكباد حزنًا... فوجب عليَّ ان اقر معترفًا بان تعليمي قد سبب شكوكًا كثيرة وهذا مما لا يمكني نكرانه فكثيرًا ما قد اهالتني هذه الامور لاسيما متى وبخني ضميري بكوني قد مزقت حال الكنيسة السابق الذي كان في راحة وسلام تحت عهد البابا وية. على ان الناس قد تهيقروا الى الوراء وازدادوا يوميًا رداءة فانهم اصبحوا الان على اشد حب للانتقام وكثر بغلهم وقد عروا عن شعائر الرحمة وعادوا عديمي الحياء والاداب وعديمي الاصلاح وبالاجمال امسوا على اعظم رداءة مما كانوا عليه في عهد البابا وية.... وانه لامر مستغرب عجيب اورث شكًا فظيعًا وهو انه منذ ما اضاء تعليم الانجيل المحض راينا العالم قد ازداد شرًا... فاخذ الرفيع والوضيع والشرفاء والخدام يعيشون وفاقًا لعقائدهم.... هذا وقد استتلى كلامه بما يمتاز به قلمه واننا نلتمس المعذرة عن نقل ذلك فنقال: فاهم الاخنازير ولا يلبثون الاخنازير فيؤمنون ايمان خنازير ويموتون ميتة خنازير.... قد زعمنا بان نظهر للناس بكوننا انجيليين بترتيبنا المناولة على كلا الشكلين وبقلبنا الايقونات وبامتلاء اجوافنا لحومًا وبامتناعنا عن الصوم والصلوة الخ. اما نظرًا للايمان والمحبة فلا يبتغيها انسان. فشر البشر بيننا قد توصل في مدة وجيزة الى هكذا درجة حتى اني ظننت ان العالم لا يدوم مدة خمس سنوات على هذه

الحال ..... فالامر وقع تحت الامتحان ولا يقتضي له برهان فنحن الواعظون قد اصبحنا الان على كسل عظيم وتهاون جسيم وعلى اقل همة ما كنا عليه منذ برهة تحت ظلام جهل البابا وية. فانه لعمري امر يناح من جرائه ويبكى عليه (تآليف اوتيروس مطبوعة في ويتيبرج مجلد ٢ وجه ٢٨١ و ٢٨٧)

فانه لعمري اصلاح عجيب قد حمل ربه على ان يعترف بمثل هذا الاعتراف ويقر بهذا الاقرار

واذا ما توهم انسان بان هذه الاقوال هي خاصة بلوتيروس وحده وانه كان يتفوه بها احيانًا وجيوش الغيوم اظلمت حواسه فقد ضل مخدعًا على ان اكبر محركي دواليب الاصلاح قد ارتاوا رايه بهذا الصدد وفاهوا بما قد فاه به وتكلم

فكل قد علم قول ميلانكتون القائل: لعمري ان نهر الالبا مع كل امواجه لا تكفي مياهه دموعًا تهطل نواحًا على حال الاصلاح المنقسم. فقد وقع الشك على المسائل الاكثر اهمية. فانه لداء عضال (تآليف ميلانكتون رسائل كتاب ٤ وجه ١٠٠)

اما كلفينوس فقد صرّح بابلغ من ذلك عن نتائج الاصلاح الادبية فقال في تاليفه عن الشكوك ان الرعاة اي نعم ان الرعاة انفسهم الذين يصعدون المنابر هم الان مثال الفساد الفظيع ونموذج جميع الرذائل فلذا لم تحصل عظاتهم على اكثر قوة واعتبار من حكايا ينادى بها في محل الروايات واني اتعجب من ان الاولاد والنساء لا يطخونهم بالطين والاوحام. اه

فهذه حالة وصفها لوتيروس وصدق عليها ميلانكتون وامضاها

كلفينوس وقد جاءت وفاقًا لصحة حكم العلاّمة ترتوليانوس في الجيل الثاني قائلاً عن تعليم اراطقة عصره: ان كيفية الادب تدل على نفس التعليم (في كتابه الذي عنوانه بريسكريبسيون عدد ٤١)

راجعنّ تاليف هذا العلاّمة الجليل الذي لدى تامله اختلافات اراطقة عصره ومشاهدته انشقاق انشقاقهم اراد برهانًا على كذب تعاليمهم فوجد برهانًا لاق بارباب الاصلاح الموهوم

فخراب التهذيب واحتقار كل سلطة وعدم الالتفات الى العقائد وعدم خوف الله تعالى . ومن ثم خلاعة لا يكبحها عنان فهذه ما لحظها في مبتدعي عصره وهذا ما نشاء ايضًا عن مبادي الاصلاح . ولما كنا نخشى اتهام من ينسبنا الى الاغراض جئنا بشهادة ارباب الاصلاح انفسهم وذكرنا نفس اقوالهم

الفصل الثالث

في الابروتستانية قبل ظهور لوتيروس

او في طلائع الاصلاح الموهوم

انك اذا ما تصفحت صفحات العدد ١٧ من النشرة الاسبوعية الابروتستانية عثرت على امر عجيب ومشهد غريب تعلق بما سموه تاريخًا للاصلاح . فانه لعمري من المضحكات وما اطلع عليه عاقل الّا قهقه ضحكًا

فقد اراد ملفق ذاك التاريخ ان يعطي لاصلاحه قدمية ويبيّن انه لم يكن حديثًا قد اخترعه مبدعوه زاعمًا انه بذلك يوليه اعتبارًا لدى الناس بناء على قدمية اصله وقديم عهده لعمري كيف يعطي الملفق اصلاً لما لا اصل له ويبين له قدمية وهو جنين حبلت به امه البارحة فطرحته اليوم

فهكذا قد راينا كل بدعة وارطقة مزقت احشاء بيعة الله المقدسة قد ادعت القدمية واشتهرت باسناد اضاليلها على ظاهر القدمية

اما فتح دفاتر قديمة ذات شبهة والتباس على ما بينه لنا المؤلف في العدد المذكور من نشرته زاعمًا بانه يزكي هذه البدعة ويعطيها صفة شرعية بتسلسله اياها الى قدمية قديمة العهد فرذا لعمري مما لا يقبله عقل عاقل وقد اتعب نفسه بالمحال

فلا غرو ان الناس لا يبدون المضحكات حبًا بالمضحكات ولا ياتون بالمحال حبًا بالمحال بل تحملهم اليه اغراضهم ويصرون عليه عنادًا

فبناء عليه لما راينم انتم خدمة الابروتستانت ان لا تخلّص لكم من اعتراض غرقكم في قعر لجة الخجل والقاكم في عظم الارتباك وهو سوال سالكم به السائل قائلاً : اين كنتم قبل الجيل السادس عشر واين

كانت كنيستكم . اضطررتم ان ترتبطوا ذاتكم بحبل القدمية وان تجيدا العنكبوت

فلذا التفتم الى الوراء وخصتم اباحة بحر الاجيال الاولى والتم كنيسة ادخلتم فيها كيفما اتفق الامر وكان بدون قيد ولا رباط ولا اتحاد وانضمام جميع الذين قد سبقوكم تمردًا وعصيانًا وان ضادوكم تعليمًا . فايما عثرتم باراتيكي حارب الكنيسة والباباوية كان عندكم من سلفا ، اوتيروس وكليفنوس فلا تجثون في تعاليمه ان كانت توافق تعاليمكم او لا توافق

فبناء عليه جمعتم سلسلة القصم فيها جميع المبتدعين والهر ومين والمرذولين من بوحنا هيس الى فيلف ومنه الى الفودواس والاليجيين ومن الاليجيين الى البوليفيين والكاتاريين وهلمّ جرًا

لعمري اني لم ارَ بكل ما ادعاه الاصلاع سخافة حاكت مدعاه القدمية

فمع هذا لا تذهلنّ متعجبًا ايها القاري الحبيب فان هذه الطريقة ليست بحديثة عند الاراطقة . فقد انبانا عنها العلّامة ترتوليانوس نفسه منذ الجيل الثاني على ان اراطقة عصره قد حذوا هذا الحذو فاتبع خطواتهم اراطقة جاءوا بعدهم وهكذا الى منتهى الايام

فان اراطقة ذلك العصر لما لم يروا مهربًا مما اعترضهم به المدافعون عن بيعة الله الحق بقولهم لهم ايها المبدعون اروا اصلكم . اخذ اولئك الكذبة ان يسلسلوا انفسهم فضموا بدعتهم الى بدعة قبلها وهذه الى ما قبلها وهلمّ جرًا الى عهد الرسل الكرام زاعمين بذلك ستر حداثة بدعتهم بحجاب القدمية . فعندها نهض قاضي قرطجنة واجابهم قائلاً : لا تخدعوا ايها الاقوام فانكم بهذا التسلسل الموهوم لا تتصلون برسل الله بل ببدع حررها هولاء الرسل الكرام

الفصل الرابع

في ماهية الاصطلاح الابروتستاني وارتقائه على ما اثبتت به التواريخ الصادقة والآثار الصحيحة

قد رأينا صاحب تاريخ ذلك الاصلاح الموهوم المدروج في صفحات النشرة الاسبوعية الابروتستانية كثيرًا ما قد سئم بحسين هذا التاريخ فتراه تارةً يخفي الشوائب والعيوب والخرق يسترها بوشاح التمويه وحينًا يكبر ما حقر ويعظم ما هان ويجلل ما رذل ويفخم ما يستحي منه . وما ذاك الاَّ تشويقًا للوقوف على اساطيره وترغيبًا للاطلاع على اصلاح كان به الفساد وتعظيمًا لشان مبتدعيه . فيا من على اساطير اهل الضلال قد وقفت ولاقاويلهم طالعت لا تستسمن ذا ورم فان هي الاَّ تمويهات خداعًا لمن يخدع واقتناصًا لمن في اشباكهم قد يقع . فما الاصلاح وذووه الاَّ اهل للاحتقار وهذا ما دلت عليه التواريخ الصادقة والادلة الراهنة : فقد وزن المنتقدون كل ذلك بميزان الانتقاد وحققه المحققون كل التحقيق فلم نرَ منهم من قد التفت الى ما عنه قد شاع وذاع بل قد رغبوا عنه وازدروا به

فاننا لسنا في اعصار سادت فيها الاغراض فاعمت اعين المتحزبين بل قد اتضحت الحقيقة للعيان فانجلت لاهل العرفان حتى انهم لا يلتفتون الى تلفيقات لفقها الملفقون بشان الاصلاح الموهوم وقد ابوا استماع تمويهات اعتمد عليها الماكرون

اما نحن فلم نقصد دحض تلك التلفيقات وتبيان فساد تلك

الخزعبلات التي استوجبت الانضمام في سلك الخرافات وان تُدفن في لحد الحكايات بل قصدنا والتاريخ الصادق هادٍ امين والحقيقة اصدق دليل ان نبين ماهية ذلك الاصلاح وما هم اهله وما به قصدوا وعليه اعتمدوا فدخلنا هذا الميدان حبًّا بالحق وايضاحًا للحق ليستنير بانواره كل انسان

فاذا كان ذلك فلنبحث في هذا الاصلاح وارباب وقد طرحنا الاغراض متاملين عقول اولئك المبتدعين وعلومهم ومعارفهم فانها قد حميت في كور الانتقاد حتى انك لا ترى عاقلاً اديب وفاضلاً اريب الاَّ قد ضم في سلك الغلو والمبالغات ما قيل بشانهم من المديح واذيع عنهم من حسن الصفات والامتيازات

على ان الانتقاد الذي لا يحابي ولا ياخذ بالوجوه قد علم وتاكد وتحقق وفند وحكم بحكم صائب بان اولئك المبتدعين ما كانوا الاَّ مقلقين معربدين مفتنين كملت فيهم صفات ارباب الثورة وتمت بهم المقتضيات . واذا ما سمعت عنهم مديحًا وبشانهم تعظيمًا فقل قد كان هذا في اعصار فيها عاشوا واجيال فيها طغوا فسادوا

هذا وان الاصلاح نفسه اذا ما وضعته بازاء التاريخ وجدته عاريًا عن وشاح فلسفة راموا ان يستروا عورته به حال ظهوره ويجلبوه به في مهده

قالوا ان مبتدعين ظهروا في الجيل السادس عشر فبنوا الابرو تستانية قد صرحوا باعتاق العقل واستقلال الافكار . فمن سمع بهذا رغب فيهم ونحوهم قد هام ودخل في قلوب اولي الالباب السليمة نحو هولاء الاقوام ميل ونسب صراخهم الى علو الهمة ومساعيهم الى اعتاق الاذهان . لكن هل

فانك ياهذا بان اولئك المفتنين قد نادوا اولاً بمبدا حرية البحث ليستندوا عليهِ ضد السلطان الشرعي ثم اخذوا حالاً والقوا على اعناق الناس نير تعاليم عسر الحمل

فقد زعزعوا اركان سلطان كان من الله ليقيموا على اثاره سلطانهم الذاتي فهذا ما انباءنا بهِ التاريخ عن ذلك الاصلاح الموهوم

وقد كثرت على هذا الادلة ووفرت الشواهد فغطت اولئك المبتدعين بالعار واولتهم كل الاحتقار . لكن قد استحى بها ذاكرها وسامعها ودنست قراطيس القيت عليها غير انهُ تاييدًا لما قلناه واثباتًا لما اوردناه تكلمنا بما لايانف من الوقوف عليهِ مطالعوه . فاولاً . عن الاصلاح ثم عن ارباب هذا الاصلاح على ما انباءتنا بهِ التواريخ الصادقة

اولاً . في الاصلاح في ذاته

اما الابروتستانية فهي لفظة لاتينية معناها مذهب الاحتجاج وهي عبارة عن مجموع شيع كثر عديدها وكل من هذه البدع ضد الاخرى وعلمت ما لم تعلمه اختها انما قد اتفقت جميعًا على امر واحد لاغير وهو الاحتجاج على سلطان الكنيسة

فلا يخل للاذهان بان هذه الشيع فيها ما يحمل الانسان على اعتبارها فانها شيع حقيرة ذليلة تسمت كل منها باسم مبدعها ونفت اختها . اما اشهرها فهي اللوثرانية والكلفينية والزونكلية والانكليكانية والصوشينية والارمينيانية والاناباتيسنية وغيرها حتى اذا ما رمنا تعداد اكثرها ملّ السامع وضجر المطالع . ومما لاق اعتباره هو ان هذه الشيع بعد ان ادعت بالبحث في الحقائق الدينية اتفقت جميعًا على محض التمرد والعصيان على

سلطان بيعة الله الوطيدة الاركان وكان هذا رباط وحيد قطرها بعضها فنادت من ثم اصلاحًا اصلاحًا

اما هذا الاصلاح فقد كان سرابًا جمع كل الاضاليل وهذا ما اتفقت عليه كل هذه الشيع وتاهت في اقفار هذا الاصلاح الموهوم فان شئت ان تكون لوتراليًا فانكر حرية الانسان او ارمينيانيًا فاخرج جثة اضاليل بيلاجيوس من لحدها . فلا باس عليك اذا ما سلمت مع بعضها بحقيقة سر الافخارستيا ولك الاختيار بان تنكرها فتكون حنافينيًا معتدلًا وزوينكليًا صرفًا . ولا حرج عليك بان تنكر لاهوت الكلمة المجسد فتكون صوشينيانيًا صادقًا وان توغلت في بحر الاضاليل العديم القرار والساحل معًا وارتكبت مطايا الاوهام فتمسي كراكريًا الخ . مع هذا كله فانك لا تخرج عن حدود الاصلاح ولا يمنع اختلاف معتقدك ومضادة يقينك ومباينة ايمانك من ان تكون ابرونستانيًا صادقًا جليلًا فاضلًا كريمًا معتبرًا بشرط ان تحتج على سلطان الكنيسة الشرعي . فاحتج ولا تخف واعصَ ولا تخشَ واطغَ ولا تجزع فانك لا تبرح ضمن الاصلاح فانها لعرصة رحبة فاركب متون كل مطايا الاضاليل فان تخرج خارجًا عن دائرتها الوسيعة

هذا ولم تقف الابرونستانية عند محاربة سلطة الكنيسة الشرعية بل قد نزلت ميادين السياسة وضربت وطعنت وهدمت ودمرت واحرقت ورمدت فانك لن تستطيع التفكر بما القته من الفتن والحروب في المانيا وفرنسا وان تذكر ما فعلته بتلك الممالك الا قد ارتعدت منك الفرائص هذا وناهيك ان تلك النار ما زالت ولن تزال تتوقد فتمضي الاجيال وتتوالى الايام وتزول الاعمار وشرها لا يزول وما نذكره لك عن

ماهية المبتدعين واعمال اولئك الضالين ومساعي اعداء الايمان القويم زادك انوارًا بهذا الشان

ثانيًا . في ارباب الاصلاح الابروتستاني

سر بنا يا صاح الى تلك الاقطار الالمانية التي اصبحت وقتئذٍ مهد العصيان على السلطان الشرعي . لا تعتمدنَّ الاَّ على التواريخ الصادقة والادلة الراهنة التي تسد افواه المماحكين . فقد اجتمع حول لوتيروس جمهور المنقادين الى اضاليله فظهرت الابروتستانية على ما هي عليه من الانقسام والانشقاق والقلاقل والاضطراب . فرايتها من الجهة الواحدة قد قلقلت الناس بتعاليمها ومن الجهة الاخرى قد جذبت المبلبلين الى احضانها فذاعت شهرتها في الافاق فهذا خائف يرتعد وذاك هائج لا يرتدع فكشف مبدعها عن جبينه الوقح خالعًا العذار رافعًا حجاب الاحترام والاعتبار واخذ يطعن بالحقائق الالهية والعقائد الدينية فلم يترك تهذيبًا علمته بيعة الله المقدسة وتربى عليه المؤمنون الى ذلك الحين الاَّ مسه وضاده . فكان الشر عموميًا والنار اشتعلت في كل الجهات لاسيما لانه ظهر في عصر كانت فيه اوروبا واحدة علومًا ومعارف واراء وتهذيبًا . على ان اللاتينية كانت اللغة العامة فانتشرت في كل ما لكتها وذاعت العلوم والتعاليم والاراء والتدابير فلما انتشرت راية العصيان في بقعة رايت جارتها قد مالت اليها اعلن الداء فعم الوباء وساد الانشقاق وتشتت شمل الرفاق

ولقائل ان يقول وما الذي حمل الناس على اذاعة الاضاليل واتباع الاقاويل وما الذي يريد ذلك الطاغي وما الذي يدعيه فما هي مقاصده

وما مأربه بنبذه الطاعة للسلطان الشرعي وتحزبه الناس للعصيان وخرابه الاقطار الالمانية المكالة وقتئذ بزهور الفلاح بخصب اراضيها وكثرة غناها وعمار كنائسها وبجاج هياكلها ومعابدها . قلنا له لا تخدع يا صاح بجوابات فخيمة لم تكن وفق الحال اذ قد نقضت القول الاعمال بل دونك واستقراء اعمال اوليك المبتدعين واستيعاب كلام اولئك المفتنين المفسدين فيتضح لك الحق ويعلن الصدق . فاذا ما بحثت ودققت وفحصت وحققت رايت بونًا عظيمًا وفرقًا جسيمًا بين ما قالوه عن حرية البحث وبين ما علموه واستساروا بموجبه على انهم لم يستخدموا ذلك المبدا (اعني به حرية البحث) الا ليهدموا السلطان الشرعي فيبنوا سلطانهم وعندما رفضوا الاحتمال وانكروا حرية الافكار فلم يكونوا الا ناشري راية العصيان وارباب ثورة على ما يجري في سائر الازمنة والادهار . لا بل قل عنهم انهم هم الذين قد القوا من الثورة الاركان وهم الذين هدموا النظام وعلموا الناس الثورة والهيجان فقد عصى هولاء وتمردوا فابوا الا ان يطاعوا فلم ترَ من نفى الاحتمال نظير لوتيروس الذي اذا ما قاومه انسان غاب عن دائرة التعقل وخاض بحور السرسام واهان المعترض واوعبهُ شتمًا ودعاه مجنونًا احمق . ولِمَ يا هذا وانت تنادي بحرية البحث وقالوا عنك الزاعمون واثنى المتعرضون انك قد عتقت العقل من الاسر واطلقت الحرية للافهام وما زلنا نسمع الابروتستانت يفتخرون بهذا قائلين : ان الابروتستانية اطلقت حرية الجنان فانعتق الانسان

واذا ما صغيت لتلفيق الملفقين وصغت سمعًا لدعاوي المتحزبين شخصوا لك لوتيروس ذا افكار عالية ومزايا كريمة فاضلة حتى قالوا عنه انه

واقرانه المدافعون عن حقوق الانسانية . هذا ما قالوه عنه وعليه به قد اثنوا لكن راجعن تاليفه فانه هو يشهد عن نفسه على انه من مزاياه الظاهرة للعيان والتي لا يستطيع انكارها انسان هو انه قد بيّض وجه من ذمه وسوّد وجه من مدحه على انك لا ترى انسانًا متوحشًا عديم الاحتمال نحو الاخرين نظيره

انما هو الذي قد سعى بنفي كارلوستاد من ولايات ساكسا فاحتمل هذا كل الشقا حتى انه اضطر على ان يباشر الحطابة ويحمل الحطب بل وقد باشر ما دون ذلك ذلًا ومشقة حتى يربح معيشته . وما شاقني الّا ان اسمع ما كان يبديه هذا الذي تفتخر الابروتستانية به هذا الذي قد نادى بحرية البحث في مشاحنته مع الزونكليين اقرانه فانهم متى لم يذعنوا لاقواله شتمهم بسمج الاقوال ونعتهم قائلًا : بانهم حمقا مجدفون هالكون فان كانت هذه تصرفاته مع اخوته ونصيره يا العجب يا هذا من سفاهته بحق علماء مدرسة لوفين وما نعتهم به بشتائم يستحي المعترون الجائلون في الازقة والشوارع ان يفوهوا بها بقوله لهم انهم بهائم وحمار وكفرة وهلمّ جرًا من اصطلاحات تراها في قاموس مبدع الاصلاح

اي نعم بهذه قد تفوه لوتيروس ولم يكن سائر المبتدعين دونه سفاهة فقل عنهم ما سمعت ولا تخشَ لومة لائم لان ارباب اصلاح الاداب المسيحية التي سدت افواه اعداء الدين عمومًا بالسماجات قد نطقوا وبالسفاهات قد تفوهوا ومطايا الرذائل قد ركبوا . فقد صدق على قولنا هذا ملانكتون الشهير بينهم وهو تلميذ لوتيروس نفسه في كتابه الى احد اصحابه حيث ابان عظم ما يقاسيه من سوء معاملة اقرانه قائلًا : انك تراني ههنا في ضيق هذا حده حتى انه يمتنع ان اوضح لك عظم المشاق وشدة المصاعب فتراني في

كل لحظة اعزم على الفرار . اما كلفينوس فكذلك شهادة به بعاملته ميكائيل سيرفيت وكيف كان سبب موته الشنيع وما ذاك الا لان هذا المسكين ابى الاعتقاد باضاليل مغتصبيه وناهيك عما تراه في كتاباته من سوء تصرفاته مع اخصامه

هذا وقد خطر لاذهان هنريقوس الثامن ملك انكلترة ان يدحض ذلك التاليف المعروف بعبودية بابل فهاج لوتيروس وجاش وكشف عن جبين تشخصت عليه الوقاحة وكتب للملك المذكور ونعته بما خطر لاذهانه من الالقاب اللطيفة فدعاه منافقًا مجنونًا احمق ادنس الخنازير واكبر الحمير

ارايت كيف كان لوتيروس يعامل الجلالة الملوكية فلا تعجب من هذا على ان هذا المبدع من جملة مباديه ان جميع المسيحيين كهنة وملوك فبذا هدم اركان الطاعة ديانةً وسياسةً فقد كتب للشعب بعد ما اجراه من الحوادث في نيرامبرغ فقال في اعلانه بان الامبراطور والملوك الذين يناوءون اللوترانية ما هم الا مغتصبون ظالمون واخذ يهددهم بالسقوط فسمع اهل القرى بوق العصيان وعاينوا راية الطغيان فثارت الثورة في كل جهات المانيا ونهض اهل القلاقل ونشروا راية العصيان على مواليهم وطغوا على روسائهم فرفض كاهن زيشنان عظة لوترانية فقاموا عليه وهجموا في نيخبين الوقا الوقا ليخلصوا كاهنًا من المبدعين فقد رام رئيس كامبلين ان يردع شركاه في الاملاك عن التعديات فهجموا على داره واحرقوها ونشروا فوق رسومها الدارسة راية مكتوب عليها الحرية ولم يكن الشعب الواطي الا اداة بيد الاعيان لهدم الاديرة واهانة الاكليروس والرهبان وفاقًا لامر لوتيروس الصارخ : اذا افعلوا باسم الله والحرية

فتضع الاعيان لامره واستمروا بموجب دسائسه وهيجوا الشعب وتلوا عليه اوامر لوتيروس وشرحوها له بلغته فابدى ما ابداه من الفظائع وارتكبه من القبائح

سر بنا يا صاح الى الاقطار الالمانية والممالك الجيرمانية حيثما شن العصيان الغارات وتمرد ارباب الاصلاح نشر الرايات حيثما داسوا السلطة الشرعية فسلموا البلاد للعصيان والتمرد والعناد فخربت ودمرت فتزعزعت كراسي الملوك وقُلب العرش فسادت الاوغاد وسطت على العباد وانحطت راية الاتحاد وانقدت النيران وساد الفجار واظلم من التهدن النهار وتطايرت من الشهوات الشرار . سر بنا يا صاح الى اقطار تخالتها الان الدروب الحديدية فقربت اقصاها فعاد ادناها واذا ما ركبت احدى المركبات وجلت تلك الجهات وحطت بك عصا الترحال في احدى المحطات وشئت ان تمعن النظر بما هنالك من الاثار القديمة الدالة على فظائع اهل الاصلاح الذين افسدوا الارض والطابع فاطفاوا اضياء الفلاح . رايت اثارًا عظيمة تان الانين وتنوح في كل حين تاكد للمارين ما اجراه ظلم المتمردين من ارباب الاصلاح الاولين

سر الى تلك الاطراف واكشف على تلك الاثار وتامل ما ابدته من الاصلاح الدار فترى ما فعله الفجار الذين رايتا بعض الناس يبشرون عنهم الفخار . لعمري اذا ما تسلحت بالتاريخ الصادق وامعنت النظر بالحقائق نظرت شذرًا الى تمويهات جاءت النشرة الاسبوعية تستر بها فظاعة ذلك الاصلاح زعمًا منها خداع اولي الالباب انقبض منها الزيوف وقد تاكدنا بان تاريخًا جاءت به خليق ان يضم في سلك الحكايات ويعد من الخرافات لاسيما وقد شهد الابر وتستانت انفسهم

وعلماءهم اعينهم بان ما مثل هذه التمويهات الا عارية عن الاسناد وانها ضرب من الحكايات غب ان بحثوا ودققوا وراوا وتاكدوا شرا فاق كل الشرور ابداه اولئك المبدعون فعصوا وتمردوا وخربوا ودمروا فلاشوا السلطة الشرعية وزعموا انهم اعتقوا الحرية فالقوها في اسر العبودية

اهل قد هالك ما سمعته متاخرا عما جرى في عاصمة مملكة الفرنساويين حينما نهض الفجار فالقوا النار وحرقوا منها عظيم الاثار وكادوا ان يجعلوها بوار فهذه كلها ان هي الا اشارة طفيفة عما فعله اهل الاصلاح في ظهورهم وما اجروه من امورهم الغريبة الاستماع وما ذلك الا لان روح العصيان واحد في كل مكان وزمان ومن اطلق للشهوات العنان اراك ما ظهر للعيان فهذا ما فعله اولئك المبتدعون فقد نشروا اولا راية العصيان وهيجوا الشهوات والاميال فالقوا شرارة فصارت اتونا ثم عمت فاحرقت ما وقع امامها فلم يقف امامها شيء ولم ينج من حريقها شيء. اهل يستطيع ملقي النار اطفاءها غب ان اتقدت والتهبت. فالله وحده قدير ان يوقفها ولو لم يداركنا برحمة من لدنه ويوقف تلك الثورة لانمحت من التمدن المسيحي الاثار وما كانت الكثلكة شيدته من اركان التمدن الحقيقي قد دخل في خبر كان. قلت هذا فاتيته لك وقد سبقني الى اثباته علماء الابروتستانية انفسهم واخصهم العلامة مانسيل في تاريخ الالمانيين منذ ظهور الاصلاح وعلم هولاء المنتقدون وتاكد اولئك المحققون بان كل ما شاع من الثناء والمديح عن ذلك الاصلاح وارباب ان هو الا محض الحكايات التي لا قيمة لها ولا اعتبار عند اولي الانتقاد حتى انها حقيقة من الحقائق التي لا يشوبها ريب بان الابروتستانية عند ظهورها قد خربت اثار العلوم الاولية الحقيقية واوقفت جواد النلاح

وهو في حومة الميدان وما كانت قد اسسته الكثلكة عكسته هذه واولاها لكان التمدن المسيحي قد اخذ حده لكنها جاءت فخربت حدايق العلوم ولاشت من اثارها الرسوم فلاق بنا اذ ذاك ان نقول لو لم يبق لنا الريب بقية لحاكينا صادوم وعامورة

هذا واهل الخداع يثنون عليها ويقولون انها قد فتحت العقول وازهرت العلوم والفنون فاقنعوا بهذا يا اهل التمويه مؤرخيكم الذين قد علوكم مقامًا وارتفعوا فوقكم شانًا وعلمًا واعمالًا فقد حجوكم بساطع البرهان وصادق الدليل فاسندوا اراءهم على التاريخ الصحيح لا على حكايا تلفقونها وتنشروها في اقطار سورية خداعًا للناس وانها احبولة الوسواس

سر بنا يا صاح الى اراضي المانيا فانك اذا ما رايت اثارًا قديمه دلتك على فظاعة ذلك الاصلاح وما فعله اربابه من الجور والظلم فكانت اثارًا شهودًا على سوء اعمالهم وها اننا نذكر لك بعضها تاكيدًا لواقعة الحال مؤملين بانك اذا ما وقفت عليها وتاملت معانيها سرت بموجب الحق الصادق وكانت امثولة للاستنارة فتقيك من خداع اهل الخداع وتزن تمويهاتهم بميزان الانتقاد الصادق فيتمحص لك الحق وتتاكد الكلام الصدق

فكاني بك قد استطيت متن مركبة بخارية وسارت بك في سكك المانيا الحديدية فحطت بك في محطة بالقرب من عاصمة وسفالية القديمة مدينة مونستر الشهيرة في التاريخ لاسيما في تاريخ الاصلاح

فقبل ان تبلغ المحطة ولدى دنوك من تلك العاصمة ترى تلك الابراج المنيعة القديمة قد لاحت لناظريك وبانت بنايات جليلة لديك وقد ارتفعت علوًا فسادت على ما دونها من المنازل والمساكن فكلمتك

بلسان حالها قائلة اني دليل اهديتك الى مدينة شهيرة الاثار وسيد هذه الديار. لكنك اذا ما نزلت فيها وسرت في ازقتها وجلت شوارعها قامت امامك سراية وكنيسة خصصها ابناء الكنيسة الاولون الى القديس لامبرتوس المعظم. فاذا ما دنوت من تلك السراية رايت في اعلاها برجًا تعلق على جدرانه الخارجة ثلثة اقفاص حديدية. فلا غرو ان ذا المنظر مما يوليك العجب. فعندها سل احد المارين وقل لهم ما هذه وما المقصود بها فاجابك بديهًا قائلاً قد اعدت هذه الى ثلثة من المنادين بالاصلاح فيذكر لك اسماءهم وما جرى بهم من العقاب وفاتا لهوائد تلك الاحقاب عقابات استوجبوها لما سبق من مشاهد فظيعة جرت فيها سيول الدما ومذابح مزقوا فيها لحمان سكان تلك البلدان فاهطل الدموع المدرارة وقل يا للخسارة الخسارة وودع المكان وسر الى ما قدام فتحل محلة اذا ما سالت ما اسمها قالوا لك المحلة الحمراء فقل لهم لم سميت بهذا الاسم فاجابك الشعب قائلاً: قد تسمت بالحمراء بسبب مذابح الاصلاح الدامية فان الدم قد جرى في هذه المحلة سيولاً فخضب منها الازقة والشوارع وصبغ المساكن والمنازل فتلونت بالوانه فلذا سميت المحلة الحمراء. فان حرت عجبًا لا تدعنَّ الحيرة تتغلب عليك بل اصعد الى قاعة لاق بسائح ان يزورها لما فيها من اثار ذلك الاصلاح ففيها تمت مشاهد فظيعة وامور شنيعة كانت اثار مبادي الاصلاح ونتيجة مواعظ واعظيه فالقوا الشرار وانقدت النار فاحرقت الديار فتركت امام اعينك مثل هذه الاثار

اتعجب من هذا وقد اصبح العقل البشري القاضي الوحيد على حقائق الايمان فنهض المتعصبون وقام المجانين وشرحوا كتاب الله على ما شاءوا

وفسروا على ما توهموا واخذوا يستندون تصرفاتهم الشاذة واعمالهم الشنيعة على هذا الكتاب الجليل . فاصبحت المانيا فريسة التعصبات والعوبة هذه الافات فنهض المسمى مانياس حارلم وتبعه اليه عصابة من الاناباتيستيين وامر بنهب الكنائس وسلب المعابد وتمزيق الامتعة المقدسة واتلاف الاناية الكريمة . فقام في وسط مدينة مونستير ودعاها جبل صهيون وامر بجمع كل ما ملكه سكانها من المال والدراهم والفضة والذهب والحجارة الكريمة وان يوضع هذا جميعه في خزينة واحدة عامة واجبر اتباعه ان ياكلوا جميعًا معًا ويعيشوا عيشة عمومية وان يستعدوا لقيادة نيران حرب عزم على مباشرتها ليخضع جميع امم الارض الى سلطانه . ولما كان هذا الاحمق المجنون يباشر مثل هذه المقاصد الجنونية ومثّل نفسه يجدعون رام استئصال جيوش المنافقين بحفنة من الرجال على لغة اهل السرسام قضى نحبه واوقى الناس فظيع شره

لكن نهض حالاً خليفته وسار على اثاره رفضًا وتعصبًا وكان هذا رجلاً يسمى بيكولد وقد اشتهر باسم يوحنا دي ليد وهو من ارفض الرفاض رجل خياط فقام عريانًا في ازقة منستير مناديًا : ها ان ملك صهيون قد اتى . واقام اثني عشر قاضيًا من جماعته وقد هاموا حبًا به وتمسكوا بحبال تعاليمه فسكروا بخمرة الرفض واستخدمهم تخبيطًا لماربه السوء بادعائه لنفسه ملكية وسلطة عامة وقد اتفق مع رجل صائغ ادعى النبوة فقام هذا النبي في وسط مجلس قضاة اسرائيل وصاح مناديًا : هذا ما يقوله الرب الاله كما اني قد اقمت في الازمنة القديمة شاول ثم داود ولم يكن هذا الا راعيًا ملوكًا على اسرائيل قد اقمت اليوم بيكولد نبي ملكًا على صهيون

فعندها نهض بيكولد واكد لهم بانه كان قد راى مثل هذه الرويا فمنعه روح التواضع عن اعلانها لكن لما كان الله تعالى قد تكلم بفم نبيه وجب عليه ان يخضع ويصعد على العرش تمهيدًا لاوامر العلي . اما القضاة فامروا باجتماع الشعب فاجتمع في ساحة السوق واذا بنبي جاء الى بيكولد بسيف مجرد علامة لسلطانه على كل الارض ليوسع نخوم مملكة صهيون حتى اربع اقاصي المسكونة فنودي به ملكًا رسميًا في ذلك الاحتفال الجنوني في ٢٤ حزيران سنة ١٥٣٤

وقد كان بيكولد هذا تزوج بزوجة سالفه وكللها ملكة وحدها دون سايرنسائه اللاي كنّ سبع عشرة تكمهنّ وفاقًا لمبدا الحرية التي اعطاها بهذا الشان

اما القتل والفتك والسبي والنهب وكل فظيعة وقباحة وشناعة ومشهد ينفر النظر منه ويابى السمع استماعه وكل جنون وحماقة فقد اخذ مداه في عهد هذا الملك المجنون فكان ١٦ شهرًا لا غير حتى ان الانابابتستيين انفسهم نهضوا ضد لوتيروس الذي اذاع مبدأ هذه التعاليم فحرمهم ولعنهم وبخهم فعصوه وتمردوا عليه وساروا بموجب ما وافقهم الروح وفاقًا لقاضي العقل

فلم يحنق لوتيروس على هولاء ولم مقت تصرفات الناس قبضوا على الكتاب وفسروه بحسب ارائهم واخذوا يجعلون تفسيراتهم الخصوصية اساسًا لجنونهم . لم حنق لوتيروس منهم لادعائهم النبوة والملكية انما قد ادّعى هو نفسه حق الرسالة ليلاشي ملك البابا الذي دعاه مسيحًا دجالًا قد ادّعى حق محاربته وهيج الناس عليه فلم لا ينهض الانابابتستيون ويدعون مثل هذا السلطان ويقولون ان الله قد تكلم معهم وبهم فاعطاهم

سلطانًا يستاصلون به الاشرار وكل ملوك الارض ليقيموا ملكوتًا جديدًا يجلس على عرشه هم الابرار

ان لوتيروس قد وضع المبداء امامهم فنتجوا النتائج

فبنى ملك صهيون هذا لنفسه سرايات عظيمة وجمع الخزائن الثمينة واصبح ذا مالية بليغة بالنهب والسبي والتعدي والقتل وبكل انواع الجور والظلم واخذ يتلد سليمان الحكيم ملك اسرائيل وادعى بان ملكه يدوم الى الابد الى ان ياتي الرب وياخذه منه وانه هو الملك الوحيد وملكه من الله فله ان يذل الامراء ويقهر العظماء ويستعبد المتقدمين فهام اتباعه بباديه وحث انبياؤه الشعب على الاقدام وان يشرعوا بتاييد هذا الملك فاصبحت مونستير مدينة صهيون يقصدها العال والدون وكل يدعي بانه ملك مطلق على عقله وقلبه وتصرفاته ونزل سليمان صباحًا يوميًا الى ساحة البلدة ليقضي على الشعب وينهي دعاويهم بذاته متداخلًا بادنى الامور لاسيما المشكلة وما يجرى ما بين الرجل وزوجته والسيدة وجاريتها والعبد ومولاه وقد تبعه الخطيب والجلاد فخطب الخطيب بما وافق امر الملك واجرى الجلاد اوامر الملك حتى ان احدى عظياته لما ارتابت بالوهية رسالته ذهبت فريسة السيف البتار وفاقًا لاوامره

هذا ومازال يظلم ويتعدى ويسلب وينهب ويخوض بحور الادناس بكثرة نسائه ويتوغل بالانهماكات ويصنع الولائم الناخرة حتى انه كثيرًا ما امر بهنه بعد نزول خطيبه من منبر الوعظ والارشاد وهناك ما جرى مرة من الامور المضحكة والمحزنة معًا

فقد رام ملك صهيون هذا اجراء ما حاكى مثالًا جاء في الكتاب

الالهي وهو انه رام ان يقلد وليمة العريس فامر بالمدعوين ليحضروا الى وليمته فقصدها الناس وقد اعدت في تلك الساحة بعد نهاية الوعظ وجلس الناس يتناولون الطعام واذا بملك صهيون قد نهض عن عرشه والملكة عن يمينه واخذ يطوف جائلاً ويتامل كلاً من المدعوين واذا بالحاظه قد وقعت على رجل مسكين لم تكن ملابسه وفق حالة تتطلبها الوليمة فالتفت ملك صهيون اليه واحدق النظر به وزأر وزمجر وانتهره قائلاً: لم حضرت ياهذا وليس عليك ثياب العرس: فاخذ ذلك البائس يعتذر اما الملك فلم يكن يسمع مثل هذا بل انه استسار بموجب اخلاقه الوحشية فرايت ذلك المسكين اصبح قتيلاً في الحال

وما زالت هذه الحركات تزداد مع الايام وسمعت من مكان الى مكان على ان ملك صهيون لم يحصر اوامره في ولاية استولى عليها بل قد اتفق مع عماله المتشتتين في ولايات مختلفة فرايت الجهات قد هاجت وماجت وسرت الحركة على جناح السرعة حتى وصلت الى الولايات المجاورة فرنسا بل وبعض ثغورها وكل من هذه الشيعة الاناباتيستية يستسير بموجب هذا السرسام. ويروم اجراء ما في راسه من الاحلام فخنق لوتيروس وتكدر وحرمهم وتهدد ورذل تعاليمهم ومارتهم لكن من يسمع له ويصغى لمقاله. فقد اوقد النيران وثار الشرار

فمن الحامين لارباب الاصلاح ملك هيس فانه كان سيف الاصلاح وقد خضع كل الخضوع لاوامر لوتيروس المبدع. غير ان هذا الملك من قد ركبوا مطايا الشهوات فساقتهم الى سوق الشبهات فخاض بحور الادناس وتلطخ بحماة الاوحام وبينه وبين قرينته الشرعية نفور لا يقدر وبغضة لا توصف ولارباب الاصلاح مقاصد باكتسابه ليكون سيفاً

الازب عن مقاصدهم فطلب اليهم ان يتزوج بزوجة اخرى سيف حيوة زوجته الشرعية فلم ينكروا طلبه بل راموا منه ان يكون ذلك خفيًا فكان الاثم اذا ما كان خفيًا اصبح حلالاً . واجبروه على الالتماس بصورة ما زالت مودوعة في صفحات التاريخ ففيها ما غطاه واعتبه عارًا فقال عن نفسه لقد خشيت في مدافعتي عن الانجيل ان اذهب قتيلاً في ميادين الحرب واني لمتاكد بان نفسي تاخذها الشياطين اذ لا استطيع الانتصار على شهواتي فلا خلاص لي ما دمت مع زوجتي فاني التمس اذًا اجراء رسمة الشريعة القديمة نحوي بتكثير النساء

فقبل الاية التماسه وامضوا عليه بقولهم اذ كان امتناعه عن الاتناس ممتنعًا لشدة شهوته اذنا له بالزواج بزوجة فوق زوجته

امضاه لوتيروس وبوسير وميلانكتون

فعندها نشر هذا الملك راية المدافعة عن مذهب المبتدعين وجرد سيفه على الاناباتيستيين فجاء الى مونستير وحصرها فاخذها وقبض على ملك صهيون ووزيره وجلاده فقتل في ذلك الحصار جم غفير حتى جرى الدم في ازقة البلدة ودكت بناياتها وسلبت اموالها وعادت على اسوء حال اما ملك صهيون ومعاونا فاعدموا لاشنع عقاب غير ان هذا الملك قد ارتد عن غيه واعترف تائبًا عن ذلك شنقوه ومعاونيه في تلك الاقفاص الثلثة القائمة فوق البرج من قصر صان لامبرت والسيف الذي قطع روسهم ما زال في تلك القاعة عبرةً للناس لئلا يحذوا حذوهم فعلى هذه الصورة اضمحل ملك اسرائيل الاناباتيستي المبني على تعاليم لوتيروس الوخيمة ومبادئه القبيحة اهل يعجب هذا الرجل من العصيان وقد سار به وعلمه فصبغًا يدعي بانه اظهر الوداعة والالطاف افا انه هو

القائل للاساقفة: انه سوف تتلى عليكم براة من مرتين لوتيروس وفيها براة لوترانية تذيقكم مر العقاب والتفت الى تابعيه وقال: دونكم والاساقفة فاقتلوا وانهبوا واسبوا فمن فعل ذلك فقد اكل مشيئة الله

فنهض الارذال وسطوا على الروساء الدينيين وغير الدينيين واخذوا ينهبون اموال الشرفاء فرايت اهل القرى صواعق انقضت على منازل الاعيان واملاك الشرفاء فسرقوا ونهبوا وقتلوا وذبحوا وخربوا ودمروا هذا ومن الاعيان من يغريهم ويقويهم على مثل هذه الاعمال فحنق لوتيروس واغتاظ اذ لم يمكنه توقيف تلك الحركة وقد احتاج الى مراعاة خاطر الامراء والعظماء فانتهر القرويين فخابت منه المساعي حتى ان احد المؤرخين صاح به قائلاً: كيف تردعهم وقد تلوا كتاباتك التي الفتها في لغتهم الشعوبية تهييجاً لهم وايقاداً لنار توحشهم واطماعهم

اما هذا المبدع فاستعان عليهم بسيف الشرفاء وسطوة الامراء فدارت عليهم الدوائر فذهبوا فريسة القتل والفتك وسال الدماء سيولاً حتى ان المورخين الصادقين قد قوموا تلك المذبحة فكان من ذُبحوا فيها مائة الف نسمة

ولما كانت هذه الحركة قد عمت كل الولايات وقام القرويون على السادات وطافوا في كل الجهات فعوملوا بما به قد عوملوا اتعلم ما الذي كان يفعله وقتئذٍ لوتيروس

اصغ سمعاً يا صاح لقول احد المؤرخين الذي اخذ يرثي لحال اولئك القرويين فقال ويلاه عليكم ايها القرويون قد سرتم بموجب اراء ارباب الاحزاب فترى ما الذي عاملكم به لوتيروس فانه امر بهلاككم واخذ ينشد مديحاً لدفنكم عرساً عقده لنفسه اذ قد نكح راهبة

فانشغل بافراحه في حال احزانكم

ارايت ياصاح ما اجراه الاصلاح في المانيا ومالكها وما ابداه من الفواحش والفظائع والجور والظلم حتى اصبحت البلاد بابل القلاقل فهتكت حرمة الشرائع بعد هتك حرمة السلطة الروحية . وهذه حوادث ماخوذة عن اصدق المورخين اتينا بذكرها لا لانها الوحيدة في تاريخ الاصلاح بل قد كانت اشارة عن فظائعهِ وغرابة قبائحهِ

فاذا كان ذلك فعلى القاري اللبيب ان يفرق بين الحق والباطل ويفصل بين الصدق والكذب

الفصل الخامس

في لوتيروس وفي شرعية رسالة ادعاها

قد حار عقل لوتيروس وارتبك ولم يجد طريقة يثبت بها شرعية دعواه فتراه يخبط خبط عشوا لايدري ما يقول ولا يعي ما يفعل كانك بهِ رجلاً اكثر الصياح والضوضاء لئلا يسمع صوتاً يعترضه قائلاً : بيّن لنا يا هذا صحة ما تدعيه ومن ذا الذي اقامك ربّاً للاصلاح ومن الذي دعاك اليهِ ومن اين انيت وما الذي تفعله او كانهُ قد هيج في نفسهِ البغضة والحنق والكيد والنكد لئلا يصغو فتناديه الفروض قائلة : دع ما تدعيهِ واخضع لسلطان اقامهُ الله تعالى وارعوِ عن غيك اما هو فقد تاه في قفار الاضاليل ولم يعباء بصوت الضمير فخلته فرساً جموحاً يسير ولا يهتدي يخبط ولا يعي

منسيًا كل النسيان

اسمعت مقال الجهلاء وزعم الحمقاء . فان كنت على جانب من الصبر الجميل واستطعت احتمال اقاويل الملتوين واوزعام المفترين دونك وما قالته النشرة الاسبوعية في عددها ١٠ ان الكنيسة قد نسيت في الازمنة السابقة الاصلاح حتى والمبدأ القائل ان الخلاص هو من الله فيا لجميل صبر قراطيس سطرت عليها هذه الاقاويل ويا لخصب العقول الضالة فلكم قد ارتنا من الحماقة وبسطت لدينا من الجنون

اهل نسكت عن كل هذه ونقابلها بعين الازدراء والاحتقار انما يعلم ارباب الاصلاح بان من الاعتراضات ما يخنقهم ومن البراهين سيف باتر ذو حدين اذا ما ضرب شق المضروب به شطرين

قلتم ان الكنيسة عامود الحق على ما صرح به رسول الامم قد امست منذ اكثر من الف سنة مدرسة الكفر وبابل الضلال يجب الخروج منها عاجلاً . فيا لحماقتكم ويا للتظليع جهلكم انا نعلمون بان افترائكم هذا قد مس المسيح نفسه وانزلتموه عن عرش مجده لتضموه في سلك اقبح المخادعين لانه ان كان قد ترك كنيسته بعد ان كان قد اوعدها بانه يبقا معها الى منتهى الاجيال قد اكذبتم بان المسيح قد كذب . فمن ثم لم يكن الدين المسيحي عمل الله

فبمَ على هذا تجيبون فلا مهرب لكم من هذا البرهان ذي الحدين اما ان كنيسة المسيح قد كانت تلاشت في عهد ارباب الاصلاح الموهوم ومن ثم كانت مواعيد المسيح باطلة او انها ما زالت وقتئذٍ موجودة . ومن ثم اجيبونا بايا حق تستطيعون النهوض عليها وتضرمون نيران الحرب ضدها فتعلمون ما زللت وترذلون ما علمت

فهذه لعمري براهين سديدة سدت افواه المبتدعين انفسهم حال مناداتهم ضدها حتى ان لوتيروس عينه لم يقدر الا ان يعترف بعصمة الكنيسة الكاثوليكية فلذا رايته احيانًا قد اقر بعصمة تعاليمها فمن جملة ما قاله : ان كان الله لا يستطيع ان يكذب فالكنيسة لا تستطيع ان ترتكب خطاء وضلالاً (في رسالته الى البرنس البرت)

كيف لا تسد افواه المبتدعين وتخزي المنافقون اذا ما جلس العقل على عرشه واستند على حقيقة الحق وحكم صوابًا فلا شك كانت ازعام المبتدعين اوهى من بيت العنكبوت

سألت ربي ان يمن على بيعته برجال حاموا عن عروسته فحذوا حذو ترتوليانوس العجيب الذي نهض للمدافعة عن هذه العروسة واخصم مبتدعي عصره باعتراضاته وسألهم بايما حق يدعون الاصلاح ومن ذا الذي اقامهم لمثل هذا العمل فقال :

فليثبت لنا الاراطقة بانهم رسل جديدون وان المسيح قد نزل ثانية على الارض واعطاهم سلطان فعل معجزات كان يفعلها فبهذه العلامات يعرف الرسل الحقيقيون فليأتوا بمعجزات تايد رسالتهم . اما انا فاني اعهد منهم اية عظيمة على انهم قد حذوا حذو الرسل لكن عكسًا. فقد كان رسل الله يقيمون الموتى اما الاراطقة فانهم يميتون الاحياء

فبهذا قد خاطب علماء الكنيسة لوتيروس وسائر الاحزاب قائلين اثبتوا لنا انكم رسل جديدون قد اقامكم الله لتبنوا كنيسة جديدة بدلاً من الكنيسة القديمة . قد اعترضوا فربكوا الاراطقة باعتراضهم حتى ان لوتيروس نفسه قد وافق علماء الكثلكة بهذا المبدا حيث قال من رام ان ياتي بشي جديد ويعلم خلافًا للتعاليم القديمة يجب ان تكون رسالته من

لدن الله ويزكي هذه الرسالة بصحيح المعجزات فان كان لا يستطيع ذلك فليمض في حال سبيله (في تآليفهِ المطبوعة من والش)

قد اعتمد لوتيروس على هذا المبدا كل الاعتماد حتى انهُ الحم بهِ ارازموس وطلب منهُ معجزة ليثبت بها تعليمه عن حرية الاختيار وعلى هذا المبدا نفسه قد استند ضد تعليم زوينكليوس والاناباتيستيين وكل المبشرين بالابروتستانية الذين كانوا قد انفصلوا عنهُ

فلما التزم هذا المبدا وجب عليهِ اجراء المعجزات تأييدًا لرسالته واثباتًا لكونها شرعية ولما لم يكن من وسعه فعل ايات اخذ يحصر اذهانه بما يمكنه من دعواه فقد راينا دبلنجر من مؤرخ قد تسلح بالتاريخ الصادق واخذ ينتقد على لوتيروس بهذا الخصوص فبين جليًا بان هذا المبدع قد اتى باربعة عشر رأيًا اختلف احدها عن الاخر بل نقض احدها الاخر في هذا الشان

فقد قلقت افكار لوتيروس كل القلق لفروغ رسالته من اسناد شرعي فاخيرًا لاجل راحة افكاره اخذ يعتبر قلق ضميره ضربًا من التجارب الشيطانية فقال ان الشيطان يعرف كيف يجربنا على انهُ يقول لنا انكم تبشرون بالانجيل فمن ذا الذي امركم بذلك ومن الذي قلدكم وظيفة التبشير مع ان لم يوجد من سبقنا الى ذلك في الاجيال الماضية . بل يقول ان كان عملكم لا يرضي الله انما تكونون سبب هلاك ملايين من الناس . هذا ما كان يختلج في افكار لوتيروس وما كان يعذبه حتى انك تراه نيف عن العشرين مرة قد جاء في تاليفه بمثل هذه العبارات . ولم ياتِ مرةً ببرهان قاطع يسكت بهِ قلق ضميره ويقنع من اعترضه على دعواه . اخيرًا اخذ يحاول فعل المعجزات فاحصى من

حملها هرب الدوكة اورسولا دي مونتيبرغ من دير فريبرغ لكن لدى التحقيق قد تاكد بان الدير لم يكن محصينا فلذا اضمحلت الاية وتلاشت المعجزة

فعندما سكت اوتيروس عن ايضاح شرعية دعواه ولم يجهد باقناع الناس بصحة رسالته لئلا تصبح هزءا . اما ارازموس الذي قد نادى تاريخ الاصلاح بانهُ صوت صارخ ان عدوا طريق الاصلاح فلدى تأمله معجزات المبدعين وايات هولاء المفسدين صاح صارخًا بما امتاز به من التهكم قائلاً : ان ارباب الاصلاح جميعًا لم نرَ منهم في امر معجزات ادعوها وايات حاولوا فعلها قد استطاعوا على بروء حصان اعرج فشفوه من عرجه

الفصل السادس

في لوتيروس رب الاصلاح الموهوم وكتاب الله الشريف

ان من سمع رب الاصلاح مناديًا بكتاب الله المنزل من الله ومقدمًا اياه للناس كقاعدة الايمان الوحيدة . فمن سمعهُ يستغيث دائمًا بكتاب الله الموحى من الله ويحارب بيعة الله زاعمًا اسناد محاربته عروسة الله على ايات كتاب الله خال لديه ان ذلك المبدع قد امتلئ فؤاده احترامًا واوعب فؤاده وقارًا نحو الايات الشريفة . لكن يالخيبة الامال ترى من لا يحير بعد ذا مندهشًا اذا ما سمع لوتيروس يتكلم على كاتبي الاسفار الالهية وكيف يتصرف بكلام الله المنزل

لا غرو ان من وقف على تاليفهِ المطبوعة في ويتمبرج ويبنا ذهب غائصًا بحور الاندهال لاطلاعه على ما فاه بهِ لوتيروس من الاقوال

اسمع يا صانع ما قد فاه به ضد موسى كليم الله وضد شريعة موسى التي هي حقًّا من الله

قال: اما نظرًا لموسى فلا نثقنّ به بل كن على ريب من اقواله انهُ اقبح الاراطقة وانهُ مرذول محروم وانه اشنع من البابا ومن الشيطان نفسه فانهُ عدو المسيح الرب الاله

فهذا ما قالهُ لوتيروس ليس في جلوسهِ على الموائد وغرامهِ بالمشروب والمأكول وقد كثرت خرافات فاه بها في ذلك الان فكانت اقبح ضرب من الخلاعة والفشار بل انه قد فاه بها في نفس تفاسيره كتاب الله وابات الاصحاح الرابع من رسالة الاناء المصطفى الى اهل غلاطية

فلم يكتفِ هذا الضال بان يدنس كلام الله بتفاسيره الخلاعية على ما ترى في تفسير العدد ١٠ من الاصحاح ٤ من سفر الامثال وما فاه به من مجون يخجل القلم ان يسطرها اعتبارًا للقاري بل انهُ قد حذف وزاد من المتن الاصلي بحسب هواه

فلا تعجب بعد هذا اذا ما رأيت انجيلي بيروت قد مدّوا يد التلاعب بابات الله الشريفة وحذفوها اوزادوا عليها فما هم الّا تلامذة صادقوا الاقتداء بمعلمهم وحسب التلميذ ان يكون مثل معلمه

فقد طبع لوتيروس الكتاب المقدس اول طبعة فحذف كل رسالة بولس الى العبرانيين وكل رسالة يعقوب وسفر الرويا برمته بل وانهُ قد توصل كفرًا وبلغ نفاقًا حتى قال ان رسالة يعقوب الرسول انما هي رسالة كالتبن وما ذاك الّا لان هذه الرسالة الجليلة قد صرّحت بضرورة الاعمال الصالحة خلافًا لازعام بدعة الاصلاح

فخجل اتباعه من ازعامهِ واستقوا من تصرفاتهِ فاعادوا الرسالتين

المذكورتين وسفر الرويا الجليل الى سلك الاسفار الالهية القانونية

هذا ما كان من حذف لوتيروس لايات الكتاب فقط بل اسفارًا برمتها . اما ما كان من زيادته عليها فهاك شاهدًا يغنيك عن كل شاهد وهو ان الاناء المصطفى قد قال في رسالته الى الرومانيين (٣ : ٢٨) . اذًا نحسب ان الانسان يتبرر بالايمان . فنهض لوتيروس وقال بالايمان وحده مزيدًا على الاية لفظة وحده التي لا تراها لا في الاصل اليوناني ولا في اللاتيني . فلما وقف اصحابه على هذه الزيادة واذهلتهم وقاحة مبدعها ثاروا على اعتباره وقالوا له انك بمثل هذه الاضافة قد اعطيت الكاثوليكيين سلاحًا يحاربون به ترجمتك اما هو ففاه وقد نفخته الكبرياء وصرخ وقد امتلى سمنة الفؤاد احتقارًا فكتب لاحد خلانه قائلاً : اراك قد تعجبت لكوني قلت اننا نتبرر بالايمان وحده مع ان لفظة وحده لا وجود لها في متن رسالة الرسول فاذا ما شاء حملك البابا ويون على هذه اللفظة فدونك وان تعجبهم في الحال ان بابا ويًا وحيوانًا سيان

لا اجمل من مشاحنة مبدع الاصلاح ولا الطف من عبارته . لعمري من يرتاب برقة الفاظه وقد قيل ان الكلام صفة المتكلم . اتعجب يا صاح اذا ما رايت تلامذة رب الاصلاح في بيروت قد اقتفوا منه الاثار . فقد اتحفنا اهل الهدى بتبيان تلاعبهم بايات الله الشريفة واثبتنا ذلك بادلة راهنة وحجج قاطعة فاتضح جوابهم لدى الجميع فانهم اخذوا يقذفون الشتائم ويوعبونا افتراء . لكنا لما كنا نحامي عن الحق بعناية الاله الحق نهض الاهلون وانهم لعمري على ماعظم من الذوق السليم كيف لا وقد تربوا بتعليم الحق في اقطار سورية التي تشرفت بموطا اقدام اله الحق فانصفوا لنا من افتراء المفترين ومما مكنهم من حجتنا وصحح صدق ادلتنا نفسٌ

كان عن روح الاعتدال الصارخ ضد روح الشتائم والهذيان بل مثل روح مثل سكران ولا تخف لومة لائم . فظهر الحق وزهق الباطل وسلم كل الصحيح من الفاسد فاتحفونا بكتب الثناء ورسائل المدح فجاءتنا ليس فقط من لدن كرام ملتنا المسيحية بل ومن اجلاء الملل الاجنبية عن المسيحية ولا غرو ان ذا مما به يعظم شأننا ويأيد مقالنا غير انه لا يعظم ثناء ومديح على اهل هذه الاوطان لاصابة حكمهم وصوابية مقالهم

وما يزيدك عجبًا بجواب لوتيروس المذكور اعلاه المبلو لطلبنا مرادنا حجة جاء بها و برهان ابرزه للوجود واسناد ثابت الدعائم مدافعة عن اضافته لفظة وحده ضد كل معترض وسدًا لكل فم

قال : ان الحجة الوحيدة التي اسندت عليها سبب اضافتي لفظة وحده وانها الحجة سدت مسد كل حجة هو اني شئت بان لفظة وحده تنزل في ذلك المكان واني آمر بها فان ارادتي وحدها اعظم حجة . لاسدّ قولك يا مبدعًا جئت بمثل هذا الاصلاح . لعمري اهل اوضح من كلامك واجل من مقالك افما انه قول قاطع لاسيما اذا ما كان عن كلام الله ومتن ايات انزلها الله .

هذا وقد استتلى كلامه بكلامه قائلاً : اني لا علم حسنًا وذا منذ امد مديد بان لفظة وحده لا وجود لها في متن رسالة الرسول لا في الاصل اليوناني ولا في اللاتيني غير اني ما اندمت الا على امر واحد وهو اني ما زدت على هذه لفظتين اخريتين وهما بدون كل الاعمال حتى يتضح لدى الجميع بان الانسان يتبرر بدون اعمال ايما ناموس كان اطلاقًا واذا ما استشاط البابا ويون الحواريين غيظًا وماتوا كمدًا فانهم لن يغيروا هذه اللفظة من نسخة ترجمتها وعليها المعوّل

فاجمل ما تقدم هو انه من وقف على نسخة لوتيروس اصابه ما اصاب ذلك العلّامة الجليل اعني بوصوبيت ذلك الاسقف المفضال على ان من تلا اساطير امام المبدعين اخذ يكرر ما تلاه ليرى ان كان احكم تلاوته وهل لم يخطئ بقراته لما يعثر عليه من التغيير والتبديل ويطلع عليه من التحريف

لعمري من ذا الذي يفتكر بان لوتيروس الذي يدعي المدافعة عن كلام الله المنزل والحاماة عن متن الكتاب يتفح متفوهًا بمثل هذه الاقوال السمجة والالفاظ المعوجة

الفصل السابع

في ترجمة الكتاب الشريف من لوتيروس

رب الاصلاح الموهوم

لقد اخطل كل الخطاء من ظن او قال بان لوتيروس كان اول من ترجم كتب الله الشريفة الى الالمانية فاذا ما سمعت ابروتستانيين يزعمون هذا الزعم اعلم ان الرفض قد حملهم اليه فمن ثم ايضاحًا لحقيقته اقتضى تبيان ما انباءت به التواريخ في هذا الشأن

ان الكتاب المقدس كان قد ترجم الى الالمانية في عهد كارلوس الكبير من ربان مور وفالفريد سترابون وهوغ دي فلوريه وسبعة بالالمانية نفسها الراهب اوطفريد من فيسمبرج وكانت النسخ المطبوعة قبل ظهور لوتيروس فوق الاربعة والعشرين طبعة في الالمانية وهذا قول من جملة مؤديه ذلك العلّامة لاهوتي بوتيلاشيخ الشهير (اعني به فسيلنجير)

اما لوتيروس فقد ترجم الكتاب زاعمًا بكون ترجمته وفق المتن الاصلي واذا ما اصغت سمعًا لبعض الابرونستانت قالوا لك انها ترجمة فريدة المثال وانها نخبة النخب واحسن ما جاءت به قريحة رب الاصلاح بل انها ملحنة الخاصة معنى وتعبيرًا و بالاجمال بها قد انحصر فضله ولاق افتخاره . اما تاريخ الاصلاح الموهوم المطبوع من المجلي بيروت فقد ذكر هذه الترجمة غير انه الى الان لم تراه بالغ بالثناء عليها فيما انه كثيرًا ما قد عظم اعمال لوتيروس التي دونها

قد بينا في الفصل السابق كم قد تلاعب لوتيروس بكتاب الله وليانه رغمًا عن مناداته باحترامه فلا اقتضاء بعد ذلك لان نبين فساد ترجمته البعيدة عن التدقيق ولاغرو انه قد باشرها بروح التواضع العميق و بناها على قاعدة لا تخل واس لا يتزعزع وهي اهواء النفسية

قد ترجمها بروح تواضع نفي كل ما لم تكن مسته ايديه واحتقر كل تاليف لم يصدر عن قريحته لانسيما اذا ما كان مؤلفوه كاثوليكيين وبهذا الروح المفعم كبرياء قد اشار لاحد خلانه ان يكتب ما ياتي وهو اذ ذاك مشتغل بترجمته الغراء على ما شهدت به تواريخ كوكلوس وجه ٢١٥

قال او علم لوتيروس بان الكاثوليكيين جميعًا قديرون ان يترجموا ترجمة صادقة وان فصلاً واحدًا من الكتاب الشريف لكان تنازل والشمس مساعدتهم ولكان جد في ترجمة الكتاب و بالغ بتدقيقه ولم يجبر انسانًا بمطالعة ترجمته وكانت ترجمته لنفسه دون غيره واذا ما اخطئ فلا يجوز للبابا و بين بان يدنسوا افكارهم بالحكم عليها لان اذانهم طويلة وتهيقهم خفيفًا من ان يستطيعوا الحكم على تاليفه وانه يعلم حسنًا بان البابا و بين ليسوا باقدر من حمار الطحان ليعلموا كم يقتضي من الاعتناء

والعقل والانتقاد في ترجمة الكتاب

ارأيت كيف اعتمد رب الاصلاح على نفسه واحتقر غيره ويلاه على سخافة عقله واسفاه على جهله اتدعي يا من تدعي الاصلاح المعارف لنفسك وتنكرها على علماء كانوا زينة كل عصر فجلسوا في المجمع التريدنتيني وحكموا على اعمالك وفندوا كل تعاليمك فانهم علماء بهذبت بهم الاعصار الماضية والحاضرة وقلما وجدنا لهم نظيرًا

فلندع هذا المغرور يغتر بذاته وينفي المعارف عن غيره ويخصها لنفسه فهات الان لنرى منزلة ترجمته تلك الغراء في عقول علماء الابروتستانت واهل الانتقاد انفسهم فلندع اهل الاغراض يثنون على معلمهم وامامهم ولنعتمد راي من اشتهروا بمعرفة لغة الكتاب وامتازوا بفن الانتقاد

فمن جملة مؤيدات دعوانا قول لوتيروس نفسه الذي قد احترق كمدًا لعدم مقابلة ترجمته بالترجامس وهاك ما وجد بخطه ومضى عليه بامضاه قال: ان ترجمتي قد كلفتني عناء جسيمًا مع هذا اراها على ما قل من الاخبار عند جماعتنا فتلافها اخصامنا اكثر منا

ولا شك ان ترجمته هذه المفسودة اصبحت هدفًا لسهام اهل الانتقاد المشهود لهم بالفن وبمعرفة لغة الكتاب فانزلها كثيرون من علماء الابروتستانية من المتقدمين والمتاخرين منزلة التاليف الخداعة وغير الصادقة

فقد اعتمدتها كنائس ابروتستانية اولًا ثم رفضتها. اهل من حرج على علماء الكثلكة ان يرذلوها بوضوح فسادها وهل من كان على جانب من شرف النفس يثني على ما يستوجب الرذل ويحصي نفسه في مصاف

اهل الرفض ويصيح منادياً بانها ترجمة غراء وملة فريدة وفي اولى ان تطرح على المزابل لما فيها من التلاعب والتحريف

دونك ايها القارىء اللبيب وحكم ارباب الفن وماجاء به التاريخ تأييداً لمقالنا ورذلاً لاراء اولي الاغراض

ان مارتين بوسير المعاصر للوتيروس وشريك اراءه قد صرح بغلط هذه الترجمة وفسادها وقد كتب فيلبوس مارنيكس في سنة ١٥٦٤ الى العلامة دروزيوس قائلاً: ان جميع الترجمات الرائجة في كنائس الاصلاح لم تر ترجمة تبعد عن الاصل اكثر من ترجمة لوتيروس في الالمانية

ولما تاكد مجمع الابروتستانت المنعقد في دار تريشت من هولاندة عدم صحة هذه الترجمة وبعيد صدقها امر بالغائها وان يعتمد على نسخة غيرها ورفضت كنيسة زوريك ترجمة لوتيروس منذ سنة ١٦٠٢ فنهض بعد مرور سنين علماء فيمبرج وتشكوا كل التشكي من اللوتريانيين لرفضهم ترجمة لوتيروس وبغضهم اياها

والابلغ من هذا كله ان الابروتستانت انفسهم قد صرحوا قائلين ان هذه الترجمة قد سببت شكوكاً بين اهل الاصلاح وانها ينبوع القلاقل والفتن وانها تسوق النفوس الى الهلاك

هذه اراء المتقدمين فدونك وحكم المتاخرين قد رأينا العلامة مونتير يرضح مأربه مذ بضع سنين بان يرى في عصرنا الحالي ترجمة في الالمانية مطبوعة مدققة لتستطيع الكنيسة الانجيلية التي تأمر بتلاوة كتاب الله ان تقدم للمؤمنين ترجمة مفهومة

قلنا ان كنيسة زوريك قد رفضت ترجمة لوتيروس منذ الابتداء

فحذا حذوها فيما بعد سائر كنائس سفيسرة فاخذ رعاتها يصيحون ترجمة بيسكاتور فاعتمدتها جمعية بيرن

فهكذا حكم التاريخ على ترجمة لوتيروس وقد نقلنا عن تواريخ الابر وتستانت انفسهم . فهذا ما يوضح قيمة تاريخ الاصلاح الموهوم الهائم به انجيليو بيروت الذين تاكد اهل سورية منهاجًا يسلكون فيهِ وعلم الشعب ايا منزلة ينزلون اقاويلهم ويقومون تعاليمهم

الفصل الثامن

في فردوس نص عنه ارباب الاصلاح واختلافهم بامر العقائد

لا نعجب من خرافات اهل الضلال وتعليمهم المحال واختلافات اراءهم على موضوع واحد فان ذا قد كان عن زعمهم الحرية المطلقة لكل انسان بان يفسر كتاب الله الشريف على ما شاء

فقد احتقر لوتيروس وقرينه زوينكليوس تفاسير علماء الكنيسة الاقدمين واخذوا يفسرون كتاب الله على حسب اهوائهم فجاءوا باغرب تفسير

فزعم زوينكليوس بان الكتاب لم يعلم عن الخطية الاصلية فبناه عليه لا وجود لسر الفداء . وزعم بان العماد لا لزوم له وانه لا يمنح نعمةً البتة بل انه قد دل فقط على قبول النعمة . ولما تورط بنتائج هذه التفاسير العظيمة جاء بتعليم غريب عجيب انزل انبيا الله ورسله الكرام والهة الوثنيين وابطالهم فردوسًا واحدًا واحل جميعهم نعيمًا واحدًا

لقد اصاب العلاَّمة بوصويت الجليل اذ سال قائلاً : ترى من قد

تصور فردوسًا على ما توهمه بعض ارباب الاصلاح ومن ذا الذي انزل الاباء والانبياء والرسل والقديسين والمسيح مخلص العالم نفسه فردوسًا واحدًا مع نوما اب الوثنية الرومانية وكاتون الذي لما اشتد به الغضب قتل نفسه وكل عبدة الاصنام حتى الهة الوثنية انفسهم ومن اعدوهم ابطالًا نظير هيرقولوس وثيزيوس لعمري من وقف على اساطير هولاء الفاضلين وتامل بما علموه من مثل هذا التعليم حار منه العقل واندهل ولم يعلم اهل ذا كفر شنيع ام جنون فظيع فان ذي حقائق علمها ارباب الاصلاح وقد انباءتنا التواريخ بهذه التعاليم والامر اتضح

اصغ سمعًا يا صاحِ لما كتبه زوينكليوس احد ايمة الاصلاح الى الملك فرنسيس الاول قبل وفاته وما كتابته الا قانون ايمان يوضح به لذلك الملك معتقده وانما يلتزم واضع القانون بان يزن الكلام ويدقق الالفاظ

قال زوينكليوس هذا الامام في تفسير الحيوة الابدية موجهًا الكلام الى الملك المؤما اليه: يجب عليك ايها الملك ان تؤمل بان ترى هنالك جميع المتقدمين من الانام الممتازين كالقديسين والابطال والمؤمنين الفاضلين منذ انشاء العالم. هنالك ترى هابيل واخنوخ ونوح وابرهيم واسحق ويعقوب ويهوذا وموسى ويشوع وجدعون وصامويل وفنحاس وايليا واليشع واشعيا مع البتول والدة الله التي تنباء عنها هذا النبي وداود وحزقيا ويوسيا ويوحنا المعمدان والقديسين بطرس وبولس وترى هنالك هيرقليوس وثيزيوس وسقراط واريستيديس وانتيغونوس ونوما وكاميللوس وكاتون والشيبيونيين. هنالك تشاهد سلفاءك وجميع اجدادك الذين خرجوا من هذا العالم بالايمان. لعمري اهل اجمل وابهى واعظم

واعجب والذ واعذب من الافتكار بهذا المنظر العجيب والمشهد الجميل (في تبيان الايمان المسيحي سنة ١٥٣٦ وجه ٢٧)

هذا ما كتبه احد ائمة الاصلاح في قانون ايمان اهداه الى اعظم ملك مسيحي وانه لكتاب قال عنه بوليجر خليفة زوينكليوس المذكور انه ملحمة طبع ترنم بها هذا البلبل وخطبة نخب غرد بها هذا الطائر العذب الصوت (في المقدمة)

اهل تعجب بعد هذا من ان هؤلاء الرجال مرسلون من لدن الله العلي لكي يصلحوا بيعة الاله العلي

فلما سمع اوتيروس بما علمه زوينكليوس عن هذا الفردوس الغريب هاج عليه وجاش وصاح صارخًا: انه قد ايس من خلاص زوينكليوس لانه لم يرتض فقط بان يحارب سر الافخاريستيا الاقدس باعوجاج نفاسين بل قد اصبح وثنيًا اذ وضع كفرة الوثنيين واشقياءهم حتى وشيبيون المنهمك باللذات ونرما لسان حال الشيطان ذاك الذي قد اقام الوثنية عند الرومانيين في مصاف الانفس الطوباوية. لعمري ترى ما الفائدة لنا من العماد وسائر الاسرار والكتاب المقدس ويسوع المسيح نفسه ان كان الكفرة والمنافقون وعبدة الاصنام والوثنيون واهل الانهماك والفواحش قديسين وطوباويين. ثم استطرد كلامه بكلامه قائلاً: ما هذا الكلام انما انه عين التعليم بان كل انسان يستطيع ان يخلص بايما دين كان عليه وبايما اعتقاد اعتقد (راجع بوسويت تاريخ التغييرات كتاب ٢ عدد ٢٠)

لكن اهل تعجب من هذه الاضاليل اذا ما عهدت مبداء استسار بموجبه ارباب الضلال بتفسيرهم كتاب الله وشرحهم ايات الله. اهل

يذهلك ضلالهم اذا تعقلت روحًا حركهم والى هذه الدركات استاقهم . اهل تعلم ما هو هذا الروح وما هذا المبدا فدونك وان تعتمد اقوال ايمة الضلال بهذا الشان

ان لوتيروس الامام الاكبر حظي ليلًا بمشاهدة روح واذا سالته ما هذا الروح قال لك صريحًا انهُ الشيطان وانهما قد تخاطبا معًا وتسامرا ليلتها . وفي سنة ١٥٢٥ حظي زوينكليوس ايضًا ليلًا بمسامرة مثل هذا الروح غير انهُ لم يرسخ في ذهنه النبوي ان يبين لنا ان كان سمير ليلته ابيض او اسود فكيفما كان لونه وكانت هيئته قد انبانا بانه قد عاد ان يرذل حضور السيد المسيح حقيقة في سر الافخاريستيا الاقدس كما وان لوتيروس قد تعلم من ذلك الروح ان يرذل ذبيحة القدس المسجود لها ولقد كان يتمنى بان يرذل حتى وحضور السيد المسيح حقيقةً في سر النعمة فكتب الى جماعته في ستراسبورغ بانه على غاية الامتنان لهم ان اعطوه وسيلة لينكر هذا الحضور السري لانهُ لا افود من ذلك ولا اوفق لمقاصده بضربة البابا وية

غير انهُ لم يحصل على هذه الوسيلة على انهُ ما برح مندهشًا من قوة كلمات التقديس وبساطتها : هذا هو جسدي وهذا هو دمي : هذا هو جسدي المعطى لاجلكم : هذا دم العهد الجديد المسفوك لاجلكم ولاجل مغفرة الخطايا

اما كارلوستاد فقدم عن هذه الكلمات البسيطة الصريحة تفسيرًا يهزاء به ويضحك من جرائهِ على ان هذا المفسر قد زعم بان المسيح بقوله هذا هو جسدي لم يعنِ عما كان يقدمه ساعتيذٍ لتلاميذه بل قد اشار فقط عن ذاته جالسًا على المائدة معهم

فاخذ زوينكليوس وايولامباد يدافعان عن كارلوستاد المذكور المطرود بدسائس لوتيروس من ساكسا فذهب متنحيًا في سفيسرة

ايولمباد اي سراج المنزل كان راهبًا قديم الايام من رهبنة القديسة بريجيتا خلع الثوب الرهباني ونكح شابة وكان كارلوستاد القديم الايام ايضًا من الذين كانوا قد سبقوه واعطوه مثل هذا النكاح

فكان زوينكليوس وايولمباد يزعمان بان هذه الكلمات : هذا هو جسدي : هي رمزية وان لفظة هو في الاية على زعم زوينكليوس بمعنى يعني . اما ايولمباد فكان يقول ان لفظة جسد هي رمز الجسد

هذا ورايت بوسير وكابيتون من ايمة الاصلاح ايضًا اشد غيرة في مدافعتهما عن المعنى الرمزي . اما بوسير اي قرن البقرة كان من رهبان مار عبد الاحد خلع الثوب الرهباني ونكح راهبة خالعة وكابيتون اي كيفلين او صغير العقل كان ايضًا كاهنًا متزوجًا واذا ما مرض اقام زوجته الثانية تعلم عوضًا عنه على منبر اللاهوت

فكل هولاء الكهنة الجاحدين كانوا يجدّون كل الجد ليكذبوا اسرار الله في عهد محبته فغيروا وبدلوا وحرفوا وتلاعبوا وراجعوا الكتاب وامعنوا النظر بآياته املاً بالوقوف على ما يمكنهم من الاستناد على المعنى الرمزي فلم يجدوا وما برح زوينكليوس يبذل المجهود ويسهر الليال ليجد حلاً لهذا المشكل ومع ذلك رغمًا عن والي المدينة الغوا ذبيحة القداس مع انه كثيرًا ما قاومهم ولم يستطيعوا ان ينفوا العقيدة الكاثوليكية بهذه الذبيحة الالهية والحضور السري

فما مضى اثنا عشر يومًا الاّ وقد راى زوينكليوس حلمًا فقال انه خال لذهنه بانه يشاحن والي البلدة وكان هذا شديد المحاربة ولم يستطع

التخلص منه واذا بشيخ خاطبه بهذه الكلمات قائلاً له : يا اذل الرجال لم لا تجيب بما قد سطر في سفر الخروج (١٢ : ١١) ان الخاروف هو الفصح اي انه رمز الفصح

فهذه اية كثيرًا ما قد تهلل بوجودها ناكروا الاسرار زاعمين بانهم قد وجدوا المرموز بالرمز المعطى دليلاً عنه فهذا سلاح تسلح به زوينكليوس لانه اول من وجده

غير ان هذا الروح المجهول اللون ولم يعرفه زوينكليوس ان كان اسود او ابيض قد اخطى كل الخطاء لان في الاية المذكورة لا يقال الخاروف هو الفصح بل انه وفاقًا لاصول اللغة العبرانية الشهيرة قد حذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه اذ ان معنى الاية ذبيحة الفصح فحذفت لفظة ذبيحة المضاف واقيمت لفظة الفصح المضاف اليه فكان المعنى صريحًا ان الخاروف هو ذبيحة الفصح ولا خلاف بهذا اذ قد اتضح كل الوضوح مما ياتي في نفس الايات التابعة حيث قد قيل صريحًا لا ان الخاروف هو الفصح بل ذبيحة الفصح (خروج ١٢ : ٢٧) فان كان ما رواه زوينكليوس صحيحًا فيكون روح الكذب سير ليلته قد غلط وخصيصته بمعنى الاية

غير ان زوينكليوس لما استفاق من حلمه راجع الكتاب ووقف على الاية وتسلح بها ونادى وجماعته نصرًا

اما لوتيروس فقد تاثر كل التاثير لمشاهدته لبعض ارباب الاصلاح بل وكثيرًا من الكنائس قد نهضت ضده وخلعت نيره لكنه لم ييأس ولم تخر كبرياه بل ما زال على عجرفته فدونك وما قد فاه به : ان البابا ضربة على راسي وناكري الاسرار والانابابتستيين حمل ثقيل على ظهري

مع هذا اني اسير وحدي ضد جميعهم فاغلبهم في القتال وادوسهم بالارجل ثم قال : اني اقول بدون افتخار انهُ منذ الف سنة لم يُنظف الكتاب احسن تنظيف ولم يُفسر احسن تفسير ولم يُدرك احسن ادراك اكثر مما نظفته وفسرته وادركته (تآليف لوتيروس مجلد ٢ وجه ٤٩٨)

اذهبوا الان يا من تطلبون الحق اذهبوا الى مثل هولاء الاية واروا غليل ظمأكم

الفصل التاسع

في المبدا المفيد الاصلاح في تفسير كتاب الله الشريف وحكم علماء الابروتستانت المتاخرين عليه بموجب الاصول المنطيقية والعلمية الحقيقية

فان كان تعالى قد تكرم على الجنس البشري بانزال الوحي فلم يشاء تعالت حكمته ان يترك معنى الوحي لحكم العقل البشري فيتصرف بهِ حسب اهوائهِ فكيف يسلّم تعالى الوحي للبشر ويسلم معاني اقواله الجليلة الى ضعف عقل كل منهم فان ذا لتضاد لا يتفق مع الحكمة الالهية

فلو كان الدين المسيحي الذي انما هو وحي فاق الطبيعة مذهبًا فلسفيًا لاختلفت المسالة وكان حينئذٍ تفسيره عقلاً موافقًا لاصل ينبوعه على انهُ يكون اذ ذاك ناشئًا عن العقل البشري فمن ثم كان لهذا العقل نفسه تفسيره والحكم عليهِ لكنهُ دين موحى من الله ومجموع حقائق فايقة الطبيعة لا يتعلق الحكم عليها بالعقل وحدهُ ولا ينوط امر تفسيرها بهِ بمعزلٍ عما سواه

ولقائل ان يقول انهُ حسمًا لكل نزاع وقطعًا لكل مشكل اعتمدنا بتفسير الوحي على كتاب موحى واتخذناه قاعدة للتفسير وقانونًا للتاويل . اعلم يا صاح ان ذا لا يحل مشكلًا وتعنا فيهِ بل انا قد جئت بما يبعد المسالة من الحل لان كتابًا موحيًا اتخذته قانونًا للتفسير صامت لا يتكلم ولا استطاعة لهُ ان يفسر ذاته بذاته بل انك ترجع بهذه الوسيلة الى حكم النطق وحدهُ فيتصرف بالوحي بحسب اهوائهِ فياتيك بمعاني يضاد بعضها البعض وعن هذا كثرت الشواهد اليومية فلو قلنا ان للعقل ان يمرن حكمه في ميادين الحقائق العقلية . فلا احد من ذلك ولا اجهل اما قولك بان للنطق الحكم على كلام الوحي فذا محض التناقض

فبناء عليهِ لم نرَ حدًا اوسط بين الكثلكة ومذهب النطق اذا اعتمدنا المبادي المنطيقية الصحيحة

فمتى سلمت بالوحي وجب التسليم بالمبدا الكاثوليكي اي بسلطان معصوم يحافظ على الحقائق الموحاة ويفسرها وهذا ما سلم بهِ وصدق على صحتهِ اخص علماء الابروتستانت الذين لا يحيدون عن اصول المنطق الصحيحة وان شجبت مذهبهم ورذلت تفاسير جماعتهم وهالك اقوالًا فاه بها هولاء العلماء المشاهير بهذا الشان فقال احدهم انهُ من اوضح الواضحات ان الكثلكة منطيقية اكثر من الابروتستانية (كوبين في فلسفة الدين المسيحي)

وقال الاخر وهو كبلير في رسالته الى المعلم هالم : ان المذهب الفائق الطبيعة الكاثوليكي هو وحدهُ منطيقي . وقال غيره : فلذا قد اصابوا بقولهم ان مذهب العصمة هو المذهب الفائق الطبيعة الوحيد (في مكتبة غوتينغ) . قال رينالد في رسائله على فلسفة قانت : انهُ متى انطوى الدين

على اسرار وبنى يقينه على ايات ومعجزات كان مذهب العصمة احسن مذهب يقتضي التسليم به وانه المذهب الديني الوحيد المبني على التاريخ وقد استحقت موافقة اجزائه لبعضها اسم مذهب حقيقي

وقال اخيرا ان كان الله تعالى قد اوحى تعاليمه نظير حقائق لا بد منها للخلاص فلا يمكن ان يخلص تفسيرها الا بطفية تعليم منقادة من روح الله القدوس فتكون من ثم معصومة (اوراق ليبزيك عدد ٢٧١)

واننا نختم الكلام بما قاله العلامة كرانخ خليفة العلامة فانت في مدرسة كينيسبرغ ، انه لا يوجد الا انسان واحد متمسك بالمذهب الفائق الطبيعة وكان من ثم منطيقيا محضا اعني به الكاثوليكي الروماني على ان هذا الانسان لا يؤمن فقط بالكتاب بل وبالتقليد وبفعل فائق الطبيعة يفعله روح الله القدوس راسا نحو الكنيسة فعلى هذه الصورة لا يمكن للكنيسة ان تتغش وان كلا من افراد بنيها اذا ما ارتاب بامر ديني خضع لحكمها

تاملوا هذا يا من تدعون التمسك بالمذهب الفايق الطبيعة من الابروتستانت واعلموا ان ذا مذهبا منطيقيا محضا لان مباديه ناتجة عن بعضها فاذا ما سلمتم بهذه المقدمة وهي ان الانسان اذا ما ترك لفهمه لاغير لا يستطيع ان يجد طريق الخلاص فنتج بانه لاجل ان يتوصل اليها قد احتاج الى قائد معصوم لانها تحتمل تفاسير كثيرة اذ ليس فقط الفيئات الدينية المختلفة بل المؤلفون الخصوصيون حتى والمتمسكون بالمذهب الفائق الطبيعة لم يتفقوا ولا يتفقون ولن يتفقوا ابدا على المتن المقدس (في كتابه عن الحكم الفلسفي في مذهب النطق)

فلا مقدرة للابروتستانية لتقاوم هذه السهام التي رشقها بها ابناؤها

وان ذا الانتقام منها اخذ به مذهب النطق الناشي عنها

على ان هذا المذهب المثلث الوقاحة الذي قد حارب نفس الوحي ودق بذات الانزال قد زرع بذار الخراب في العالم المتاخر لكنه انما تقدم خدماً لانتصار الحق نظير سائر الاضاليل التي تنهض عليه

على ان مذهب النطق لما كان قد تولد من الاصلاح وعن حرية البحث التي لا يصدها سلطان راينه انما كان ليرتد على المبدا الذي انما عنه قد نشاء ليلاشي هذا المبدا بتوسيعه اياه فانه هادم تلك النهايات السريعة العطب القائمة بازاء بيعة الله المقدسة وانه لمحارب الابروتستانية بسلاح نتائجها منطبقياً وانه لمانع عن جبينها تلك الصبغة الفائقة الطبيعة التي تركها لها ارباب الاصلاح الاولون فحملها ضرورةً اما على نكران المسيحية مطلقاً او على الارتداد الى الوحدة الكاثوليكية. فمن ثم لا نعجب منذهلين اذا ما راينا الخراب قد سعى كل السعي في حضن الابروتستانية على ان هذا الخراب كان عن مذهب النطق الذي يزعزع الابروتستانية بثبوت واقدام وانه فعل ضلال ينتقم للحق بتورطه وتجاوزه فانه اقصاص من الابروتستانية الضالة يفتح لها طريق الهدى والارتداد

وها اننا قد شاهدنا علامات هذا الارتداد الى حضن الوحدة الكاثوليكية الذي قد توقفه الاميال والاغراض لكنها لا تستطيع ان تمنعه بل لابد من انه يكون

انما ان الخوف من السقوط في مذهب النطق قد رجع بعض مذاهب الابروتستانت في انكلترا والمانيا الى التقليدات الكاثوليكية القديمة اي نعم قد راينا هذه المذاهب قد وقفت لحظة لكن هذا الوقوف انما هو الا الخطوة الاولى في الطريق السالك

فاذا ما كثر عدد السايرين فيه رايت الحركة قد عمت وما يزيدها سرعة مطالعة تآليف الاباء القديسين وتعاليم الاجيال الاولى وكل من طالع الاقدمية المسيحية بتدقيق اقتنع مع العلامة جيبون بان من قد طالع وتفقه لايسعه ان ينكر هذه الحادثة التاريخية وهو انه في الاربعة الاجيال الاولى المسيحية كانت مبادي الكثلكة وحدها معتمد عليها نظريًا وفعليًا (في كتاب التذكارات الاول فصل ١)

فحينئذٍ يكرر القول مع الكلفينيين في صورة نصوها في سنة ١٧٧٥ وقدموها لملك فرنسا حيث قالوا: إن رجع اليوم ايريناوس وغريغوريوس وكيريللوس واثناثيوس واغستينوس والذهبي الفم الى العالم فانهم لايرون الفة كانوا اعضاؤها الاّ ضمن الكنيسة الكاثوليكية

اسري ان مثل هذا الاقرار الذي اعترف به علماء الابروتستانت انفسهم شانهُ ان يجبر اهل العقول على ان يمعنوا النظر ويتاملوا

الفصل العاشر

في ما جرى بين لوتيروس امام الاصلاح الموهوم وبين كارلوستاد وارباب مجلس اورليمند من المشاحنة عن تكريم الايقونات

قد ملت اذان اهل المعارف من تفخيم انجيلي بيروت لتاريخ اصلاحهم الموهوم الناشئ عن شدة تمسكهم بالمحال وسعيهم بان يجعلوا الاسود ابيض وكثيرًا ما جاءوا فيه بمسائل مطروقة وقد سئم اهل العلم لكثرة دحضها وان هي الاّ اعتراضات صبيانية لايعبأ بها الشاب الكاثوليكي

الحديث الايام الذي لم يتقن من العلوم سوى مبادي تعليم الدين

فمن جملة هذه المسائل تكريم الايقونات الذي كثيرًا ما ترنم الابروتستانت بهِ وظنوا انهُ لاعتراض عسر الحل وقد حاله الطفل الرضيع وعلم ان بين السجود للاله المعبود وبين تكريم ايقونات اصفائهِ الكرام بون عظيم اذ لم يقصد بتكريم الايقونة السجود لها ولا لمثلها بل انها ذكر ذكرتنا بهِ فنحييه بالاكرام ملتمسين شفاعته

اما نحن فاننا لا نتعرض الى هذا الاعتراض السخيف الذي اذا ما التفتنا اليهِ توهم قوم اهميته بل اتينا بذكر ما ابداه لوتيروس امام المبدعين من المدافعة عن تكريم الايقونات

فقد انبانا التاريخ الصادق الذي تداولته ايدي الابروتستانت انفسهم واعتمده مشاهيرهم بانهُ لما كان لوتيروس قد وقع تحت الترسيم في قلعة وارتبرج واطلق كارلوستاد العنان لجواد العصيان باذاعة اضاليله وقد داس سلطان لوتيروس وكثيرًا ما داس اراءه وعلم ضد ذبيحة القداس والحضور السري في الافخاريستيا ورذل الايقونات وكانت مواعظه هذه في مدينة ويتبرج نفسها مهد اللوترانية جاش لوتيروس وهاج وطعن وقدح واعرب في كتابة كتبها بهذا الشان عما احاقه من الاكدار لا لسبب تعاليم علمها خصمه المذكور فقط بل لسبب سلطان اتخذه لنفسه وزعم بكونه يرتفع بهِ على لوتيروس امام البدعة فقال عن الذين تجاوزوا حدود سلطانه : اني ادافع عنهم لدى البابا لكن كيف اوقيهم من الشيطان لدى ساعة الموت الرهيب مني وقف الروح الشرير امامهم وخاصمهم بكلام الكتاب القائل : كل غرسة لا يغرسها ابي تقلع وقوله ايضًا طافوا ولم ارسلهم . فلا غرو انهم يطرحون وتتذر

في جهنم النار (تآليف لوتيروس المطبوعة في ويتمبرج مجلد ٧ وجه ٢٧٣)

قال هذا حتى ولما رجع الى مدينة ويتمبرج تهدد سكانها بالرجوع عما علمهم وبدّ بشرهم قائلاً : اذا ما برحتم مصرّين على هذه الاحوال رجعت بكلامي وكذبت كل ما قد كتبت وعلمت اي نعم اني ارجع بذلك واترككم وحدكم في الميدان اعلموا هذا وتاكدوا . ترى ما الذي يضركم القداس البابوي . اه

لعمري قد علم الناس وتاكدوا ان الارتداد يكون عن الضلال فاذا ما ضلّ انسان وتاه رجع عن ضلاله الى الحق المبين واعتده الناس من المهتدين . اما عند اهل الضلال فالامر خلاف على ان لوتيروس قد زعم تعليم الحق والانذار بالحق وردّ الناس الى الحق فلما مس اقرانه حبه الذاتي تهددهم بالرجوع عما كان قد علمه . ما هذه الاقوال ايها المبدع فان كنت ضال لِمَ تدعي الانذار بالحق وان محقًا لِمَ تتهدد جماعتك بالارتجاع فقد علمنا بان ما حملك على طريق سلكتها انما الاغراض والاميال

فنعم ما قاله العلامة بوصويت بهذا الشان ان من طالع تآليف لوتيروس راى ما اذهل منه العقل فراجع التاليف من اوله ليهتدي ما يقوله هذا الرجل ويتحقق هذا الانجيل الجديد الذي يبشر به (تاريخ تغييرات التعليم الابروتستاني كتاب ٢)

فمن جملة تناقضه في تصرفاته ايضًا فضلاً عن تعاليمه هو انك تراه اليوم يطنب بكارلوستاد وفي الغد اصبح عدوه

قد انبانا التاريخ بان كارلوستاد لما طرد من ويتمبرج قصد مدينة ورايمند في ساكسا واخذ وجماعة الانابابتيستيين ينادي ضد لوتيروس

ويدعوه متملق البابوية لانه ابقى اثارًا للقداس وللحضور السري

ولما كانت اقواله قد حركت الناس وصار هيجان عظيم امر الملك لوتيروس ان يتوجه الى ممالك ويصلح الاحوال فالتقى وخصمه في بينا حيثما جرت بينهما تلك المشاحنة الشهيرة وابتدت الحرب العوان واياها قد اكذت تاليف لوتيروس والتواريخ الابروتستانية

فلما كان لوتيروس قد خطب وعلم التقى بكارلوستاد في بارجة الدب الاسود اما ما فاها به من الاقوال وقد سرت الحميا في رؤسهما ولعبت الصهباء بدماغهما فنطقوا بما لا يليق ان ينطق اللسان به اذا ما تحدث عن مسائل دينية وتعاليم لاهوتية فلا لوم عليهما ولا عتب وانما ضاربون صفحًا عن صفات القائلين باحثين فقط عما قالوه

فمن جملة الشتائم المحتملة ان لوتيروس دعى كارلوستاد خداعًا ماكرًا فاستشاط هذا غيظًا وصرح بانه لا يستطيع احتمال اراء لوتيروس فعندها اخذ هذا يزدري به ويحركه للعدوان قائلاً ان كنت من القديرين دونك وان تكتب ضد اقوالي فانك لعاجز عن ذلك لامحالة فازداد كارلوستاد انفعالاً فالقى اليه لوتيروس دينارًا وقال له خصمه اليك ان كنت من المفلحين وقبض احدهما على يد الاخر علامةً لاشهار الحرب واخذا الاقداح وشربا على هذا العهد فضم كارلوستاد الدينار وشرب الكاس ونهض مودعًا خصمه قائلاً له : سالت الله لا عدت اراك الاَّ فوق المشنقة : فاجابه لوتيروس قائلاً سالته تعالى ان تقع فتكسر رقبتك قبل ان تخرج من ههنا (تاليف لوتيروس رسالة الى سكان استراسبورغ)

فهذه مناقشة لطيفة جرت بين ارباب الاصلاح ومثلها ساجات

كثيرة قاما بها على تلك المائدة قبل المفارقة ومن تلك الساعة اشتعلت نيران الحرب بينهما فكانت حقًا حرب عوان

فلا تعجب اذا ما رايت الذين صفوا لاقوال هولاء المبدعين قد حذوا حذوهم بالتبشير بالانجيل فنهض الرفيع والوضيع وحمل الكتاب بايديه واخذ ينذر ويعلم بحسب اهوائه مستندًا اوهامه على الايات الجليلة وما تبقى من مواعظ مثل هولاء الجهلاء اكد لنا صحة هذا المقال

انبأتنا التواريخ بانه في ويرت بلدة بالقرب من نورمبرغ نهض رجل قروي وقد تجلبب بعباءة وسكين في منطقته والكتاب المقدس بيده واخذ يعظ عن حرية الاختيار زاعمًا بانه يبين من نفس ايات الكتاب الشريف بان الله تعالى هو الفاعل الخطية فينا (ويسليخبير وجد ٥٠)

ومثله قد نهض في اورليمند شاب بيده كتاب الله واخذ يناحن لوتيروس على تكريم الايقونات ويبين له بان رذلها قد ايده كتاب الله وان كل تفسير وافق تكريمها مرذول وقد جرت المشاحنة بين لوتيروس وارباب مجالس اورليمند على ذلك علنًا

فكان انجيليوا اورليمند قد انتخبوا كارلوستاد راعيًا عليهم فعلّم هذا الراعي رذل الايقونات فحضر لوثيروس بامر الملك لتسكين هيجانًا سببه كارلوستاد بارائه وتعاليمه واخذ يلوم سكان اورليمند على قبولهم كارلوستاد الملتوي بينهم وعلى اصغائهم لتعاليمه المعوجة لاسيما لما علّمه عن رذلهِ الايقونات

فنهض ارباب المجلس واعترضوه قائلين لِمَ تنادي بمثل هذه: تعال نجتمع في مجمع ونتباحث عن ذلك

فمال الى رايهم هذا ولما استقرت بهم الحال في ذلك المكان واخذوا

يديرون الاقداح ويشربون الراح احياء للارواح فتشهد منهم القرعة فيحسنون الجدال فعندها التفت اليهم اوتيروس ووبخهم على امرين احدهما قبولهم كارلوستاد راعيًا عليهم ولم يؤذن بذلك امير ساكسا ولا ديوان ويتمبرج فاجابه اولئك الذوات قائلين ان كان كارلوستاد ليس براعٍ شرعي علينا كان تعليم مارتن بولس كذبًا وبهتانًا لاننا نحن الذين قد اخترناه واقمناه علينا راعيًا. فلما راهم اوتيروس قد قبضوه من عين عملته اختزى ساكتًا ثم اخذ يوبخهم لكونهم قد اخطأوا بتكسيرهم الايقونات والتماثيل قائلاً لهم: كيف يسوّغ لكم كتاب الله مثل هذا الارتكاب

فقالوا: اتؤمن بان موسى هو الذي قد نزلت على يده العشر كلمات اجابهم نعم

قالوا انما ان الكلمة الاولى القايلة لايكن لك اله غيري قد وليها ما يفسرها وهو لا تصنع لك ندًا ولا منحوتًا فعندها اجابهم قائلاً: قد اعنى الله بذلك عن الاصنام والتماثيل التي يؤدى لها سجودًا اختص بالله

ارايتم يا جماعة اهل ذلك الاصلاح الموهوم كيف اجاب امامكم على اعتراض طالما ترنمتم به. انما ان ذا تفسير جاء به علماء الكثلكة الكرام

هذا وقد استطرد اوتيروس كلامه قائلاً بهذا الشان: اني لست بساجد لايقونة يسوع مصلوبًا ولا لخشبة علق عليها الفادي بل انما قد سجدت للذات الفادي بتكريمي الخشبة وهكذا قال عن ايقونات اولياء الله الكرام مبررًا ذلك التكريم من سمة السجود المختص بالمعبود وحده وقال ان من فهم الخلاف فقد اخطأ واذا ما وجد من تورط بمثل هذا التكريم وانتقل منه الى التعبد المحض فقد تجاوز الحد واقتفى اصلاحه لكن لا يليق بنا

ان نرذل التكريم لكون قد وجد من اساء التصرف به

فلما افحم لوتيروس تلك الجماعة ببرهانه اخذ يخاطبهم بالوف عبارته المجونية ولاباس من ذلك اذ كانوا واياه محاذين وقتئذٍ للمآكل الفاخرة والنبيذ فالتفت اليهم وقال اذا ما وجد من لم يدرك حقيقة تكريم الايقونات وتوصل الى ان عبد المخلوقات اهل يجب علينا ان نرجع عن الممدوحات فهب قد وجد من اساء بزيجة سنها الله اهل تهجرون بسبب فعله نساءكم وتطردوهنّ من بيوتكم واذا ما وجد ما اساء استعمال الخمر هل تهرقونها على الارض وترتجعون عن شربها مكتفين بالماء